رسالة إلى أهل الميت

مبدد الأحزان عند فقد الأحبة والخلان

قال رسول الله ﷺ: « مامن مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة ».
(السلسلة الصحيحة ، حديث رقم : ١٩٥)

جمع وإعداد
عبدالله بن رشيد الحبلاني

رسالة إلى أهل الميت

مُبَدِد الأحزان عند فقد الأحبة والخلان

قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة؛ إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة».

[السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ١٩٥].

جمع وإعداد

عبدالله بن رشيد الحبلاني

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العنزي، عبدالله رشيد

مبدد الاحزان عند فقد المحبة الاحزان./ عبدالله رشيد العنزي.- الرياض، ١٤٢٦هـ

١٦٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ - ٣٨٢ - ٤٩ - ٩٩٦٠

١- الموت ٢- الوعظ والارشاد أ. العنوان

ديوي ٢٣٤ ١٤٢٦/٥١٠٦

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥١٠٦

ردمك: ٢ - ٣٨٢ - ٤٩ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كل مصاب ومفجوع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أحمد الله الملك، الذي لا إله إلا هو، أما بعد فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية، وعواريه المستودعة، يمتعنا بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم. ثم فرض الله تعالى علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان (فقيدك) من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة، متعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه بأجر كبير إن صبرت واحتسبت، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا.

المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

من عصام بن عبدالعزيز العويد الداعية إلى الله عز وجل إلى حضرة المكرم الأخ الشيخ الراق فضيلة الشيخ عبدالله بن رشيد العنزي بارك الله في جهوده وأهله وأخوته آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

أسأل الله عز وجل لكم التوفيق والسداد والقبول وحسنة الدنيا والآخرة إنه جواد كريم.

في طيات هذه الصفحات عظات وعبر وأحكام وفوائد ونفائس تصلح محاضرات وخطب منبرية ودروس علمية، في طياتها إيمان وخير ونفع، أسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومن كاتب هذه الورقات خيراً وكل من ساهم في نشر هذا العلم الذي أسأل الله عز وجل أن ينفع به إنه سميع قريب مجيب.

وما قرأت في هذا الكتاب للشيخ عبدالله بن رشيد العنزي من أنفع ما قرأت في مواساة أهل الميت والأحكام الشرعية للحاد وطريقة نفع الميت بعد موته، فأسأل الله أن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأن يستمر على فعل الخيرات هذه وأمثالها.

وأنصح بقراءتها وتوزيعها ومن عاجل البشرى أني جعلت بعض ما

كتبه الشيخ في بعض أشرطتي الدعوية قديما قبل القراءة بعد سماعي من الشيخ عبدالله نفسه. فنفع الله بها نفعاً كبيراً وكانت سبباً في حفر كثير من الآبار على يد الشيخ عبدالله. جزاه الله خيرا.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الداعية إلى الله تعالى

عصام بن عبد العزيز العويِّد

تقديم

فضيلة الأخ الشيخ / عبدالله بن رشيد العنزي......... حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد اطلعت على جمعكم «**مبدد الأحزان عند فقد الأحبة والخلان**»

فألفيـته جمعـاً مباركاً بأذن الله يستفيد منه جميع طبقات المجتمع وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجزي صاحبه خير الجزاء.

أخوكم

سليمان بن راشد الفهيد

مدير الأوقاف والمساجد والدعوة والإرشاد
بمحافظة حفر الباطن

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الله تعالى جعل الموت محتوما على جميع العباد، فهو نهاية المرء وغاية الاقتصاد، من دار الاعتداد قضى فأسقم الصحيح، وعافى السقيم، وقسم عباده قسمين: طائع وأثيم، وجعل مآلهم إلى دارين: دار النعيم ودار الجحيم، فلا مفر لأحد من الموت ولا أمان، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الرحمن: ٢٦)

فسوى فيه بين الحر والعبد، والصغير والكبير، والغني والفقير، وكل ذلك بتقدير العليم الخبير: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سورة فاطر: ١١)

فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والحازم من بادر بالعمل قبل حلول الفوت، والمسلم من استسلم للقضاء والقدر، والمؤمن من تيقن بصبره الثواب على المصائب والضرر.

فالموت حقيقة مرة على الميت والحي وما ذلك إلا لأنه يعتبر في الحقيقة

نقلة للميت من دار الزرع إلى دار الحصاد فإن كان محسنا تمنى أن يكون ازداد إحسانا، وإن كان غير ذلك فعندها يندم ندما لا ينفعه في ذلك الوقت.

أما الحي فيبقى يتجرع لوعة وغصص هذا الفراق ... فترى من الكثير منهم العجب العجاب ...من أثر هذه الصدمة فترى منهم من يصعق ومنهم من يمرض ومنهم من يصاب بعقله ومنهم من يعترض ومنهم من ينوح ويصيح ... وقليل أولئك الذين يحمدون الله ويسترجعونه عند المصيبة ؛ وقليل أولئك الذين يصبرون عند الصدمة الأولى.

ولما كان الحال هكذا عند الكثير استعنت بالله لجمع رسالة و هي عبارة عن تعزية وتسلية لكل مصاب جمعتها من كتب وأقوال أهل العلم المتقدمين والمتأخرين.

ولعل ما يميز هذه الرسالة عن غيرها - من رسائل التعزية - أنها تضمنت بابين قد لا يوجدان مجتمعين في مثيلاتها من الرسائل فيما أعلم وهما:

١- باب أحكام الإحداد ؛ والمخالفات التي تقع فيه.
٢- باب كيف تتسبب بنفع حبيبك وعزيزك بعد موته ؛ مع عمل كشاف للمشاريع الخيرية التي يمكن أن يتصدق فيها عن الميت مع شيء من التفصيل.

عناصر الكتاب

الباب الأول

وقفات لابد منها:

- حسن الظن بالله.
- كتابة الوصية.
- التبرأ من الجاهلية.
- توطين النفس.
- الدنيا دار بلاء.

الباب الثاني

- الصبر عند نزول البلاء.
- ثواب الصابرين.
- الحذر من الإعتراض.
- يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.
- سبيل النجاة.
- خمس وعشرون طريقة لتخفيف المصائب والمحن.

الباب الثالث

من قصص الصابرين:

- القصة الأولى: (إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).
- القصة الثانية: (بارك الله لكما في غابر ليلتكما).

- القصة الثالثة: (وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل).
- القصة الرابعة: (واستعينوا بالصبر والصلاة).
- القصة الخامسة: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا).
- القصة السادسة: (رضيت عن الله).
- القصة السابعة: (أفأستكين لـها).
- القصة الثامنة: (وما يمنعني أن أحتسبه).
- القصة التاسعة: (أيوب هذه الأمة).
- القصة العاشرة: (اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني).
- القصة الحادية عشر: (وكل أم وإن سرت بما ولدت يوما ستفقد من ربت من الولد).
- القصة الثانية عشرة: (هكذا فلتكن الأمهات).
- القصة الثالثة عشر: (رحمك الله يا هيثم).
- القصة الرابعة عشر: (أضياف ودماء).

الباب الرابع

فوائد المصائب والمحن

الباب الخامس

النصائح الثمنية لأهل القلوب الحزينة.

- الرضا عن الله عز وجل.
- الاسترجاع.

- الصبر على المصيبة.
- المسارعة في قضاء دين الميت.
- المسارعة في تجهيزه ودفنه.
- حذار من التفوه والكلام والدعاء على النفس حال المصيبة.
- الدعاء والشفقة خير للميت من البكاء والعويل.
- اجتناب ما أحدثه بعض الجهال من بدع تتعلق بالجنائز وتحته ست بدع:
- المغالاة في الأكفان.
- رفع القبر أو البناء عليه أو إنارته أو الكتابة عليه.
- نصب الخيام لإستقبال المعزين.
- إحضار المقربين.
- توزيع السجائر.
- التعبد بلبس معين أثناء العزاء والحداد كلبس الثياب السوداء أو تخصيص لون معين.

الباب السادس

اللقاء في الجنة

الباب السابع

- الإحداد.
- الحكمة من الإحداد.
- أقسام الإحداد.
- حكم الإحداد.

- شروط الإحداد.
- مدة الإحداد.
- متى تبدأ عدة المرأة الحاد..
- عقوبة غير الملتزمة بالإحداد.
- أخطاء ومخالفات الإحداد.
- بعض الأخطاء عند خروج المرأة من العدة.
- كلمة أخيرة.
- فتاوى الإحداد.

الباب الثامن

كيف تنفع حبيبك وعزيزك بعد موته.

- الدعاء لـه.
- زيـارة قـبره والوقـوف علـيه والـدعاء بالمأثور وهذه الزيارة خاصة بالرجال دون النساء.
- الصدقة عنه.

فصل:

الدليل المفيد لصدقة الفقيد:

- وفـيه ذكـر بعـض المـشاريع الخيرية مع بيان فضل وفكرة والتكلفة المالية لكل مشروع.

الباب الأول

وقفات لابد منها

- حسن الظن بالله
- كتابة الوصية
- التبرو من أعمال الجاهلية
- توطين النفس
- الدنيا دار بلاء

الباب الأول
وقفات لابد منها

حسن الظن بالله :

يجب على كل مسلم أن يحسن الظن بالله عز وجل لا سيما إذا نزلت به مصيبة الموت وأن يغلب عليه الرجاء أكثر من الخوف ؛ وأن يحب لقاء الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يعني عن الله عز وجل: "إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وكذلك ينبغي له أن يلهج لسانه بذكر الله ودعائه وخاصة بالذكر المأثور عن النبي ﷺ. عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ؛ أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: "من قال: (لا إله إلا الله والله أكبر)، صدقه ربه ؛ فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: (لا إله إلا الله وحده)، قال: يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، قال: يقول: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال:(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد)، قال: يقول: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: (لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي". وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار"[١].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٣٦٢، وانظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٣٩٠)

كتابة الوصية :

ينبغي لكل مسلم - مريضا كان أو معافى - أن يكتب الوصية وأن يعدل فيها ويتأكد ذلك في حق المريض لأنه لا يعلم قد يموت في هذا المرض وفي ذمته كثير من الحقوق المتعلقة بالخالق أو المخلوق ؛ ولعظم هذه المسألة وتبين أهميتها أكد وحث عليها النبي ﷺ ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله ﷺ قال: " ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين، - وفي رواية: ثلاثة ليال - إلا ووصيته مكتوبة عنده ".

قال نافع: سمعت عبد الله بن عمر يقول: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي مكتوبة ". رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

التبرؤ من أعمال الجاهلية :

ينبغي لكل مسلم أن يتبرأ من أعمال أهل الجاهلية مثل النياحة وشق الثياب والبكاء بصوت مرتفع والصياح والندب وغير ذلك من الأمور التي توحي بالاعتراض والتسخط على قضاء الله عز وجل وأن يحذر أهله منها خاصة إن علم أن من عادات أهله فعل مثل هذه الأمور عند نزول المصائب والبلايا ؛ حتى يسلم هو من الإثم وينجو من العذاب المترتب على فاعلها أومن ارتضاها أو تهاون في التحذير من فعلها خاصة في أهلة.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ": الميت يعذب في قبره بما نيح عليه - وفي رواية - ما نيح عليه - ".[1]

---

(١) رواه البخاري ومسلم،وابن ماجه،والنسائي وقال:"بالنياحة عليه".

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نيح عليه، فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة" رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: "إن ا لميت ليعذب ببكاء الحي، إذا قالت: واعضداه! وامنعاه! واناصراه! واكاسياه! جبذ الميت فقيل: أناصرها أنت؟ أكاسيها أنت؟!"(١)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي: واجبلاه! واكذا! واكذا! تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك؟! رواه البخاري.وزاد في رواية: "فلما مات لم تبك عليه"(٢)

وعن أنس رضي الله عنه: أن عمر رضي الله عنه لما طعن عولت - أي: بكت وصاحت - عليه حفصة - ابنته -، فقال لها عمر: يا حفصة! أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن المعول عليه يعذب" قالت: بلى. (٣)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة تريد أن تساعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: "أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله منه؟". فكففت عن البكاء، فلم أبك. رواه مسلم.

ويحسن بي بعد ذكر هذه الأحاديث والآثار أن أوجه هذا النداء للأخت

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب(٣/ ٣٧٩)
(٢) صحيح الترغيب والترهيب(٣/ ٣٨٠).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب ص (٣٨٣).

المسلمة فأقول:

لعلك يا أختي المسلمة بعد هذه الأحاديث عرفت مدى خطورة النياحة على الميت ؛ فليتك تعرفين أيضا أن هذا الخطر ليس مقتصرا على الميت فقط!! بل والله خطره الأعظم والأدهى يعود عليك أنت! نعم أنت. ودليل ذلك ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة من الكفر بالله: شق الجيب، والنياحة، والطعن في النسب".[(١)]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة".[(٢)]

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: - "النائحة إذا لم تتب قبل موتها ؛ تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب" رواه مسلم، وابن ماجه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: "النياحة من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب ؛ قطع الله لها ثيابا من قطران، ودرعا من لهب النار"[(٣)]

(القطران) بفتح القاف وكسر الطاء، قال ابن عباس: "هو النحاس المذاب" ولعظيم خطر النياحة وما شابهها فإن النبي ﷺ لم يغفل عن التحذير منها عند مبايعته للنساء ؛ فعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات قالت: "كان فيمن أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ص (٣٨٠).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣٨١).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب(٣/ ٣٨١-٣٨٢).

علينا: أن لا نخمش وجها، ولا ندعو ويلا، ولا نشق جيبا، ولا ننشر شعرا".
والملاحظ لهذه الأمور الآنفة الذكر أنها كلها قد حوت معنى واحدا ألا وهو الاعتراض وعدم التسليم لقضاء الله عز وجل.!!

لهذا تبرأ النبي ﷺ من هذه الأعمال ومن أهلها ؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[(١)].

بل ﷺ لعن من فعل ذلك! وهو الموصوف بالرحمة والرأفة كما قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة التوبة:١٢٨)

فاللعنة من الرحيم لا تكون إلا على المنكر العظيم الذي لا يحتمل السكوت عنه. عن أبي أمامة رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور"[(٢)]

فيا أخيه إن بدر منك شيء من هذا في السابق فسارعي بالتوبة والندم على ما بدر منك والعزم على عدم العودة لمثل هذه المحرمات. والله غفور رحيم.

وإني أطلب منك أن تحذري كل من تعرفينها من النساء من خطورة هذا الفعل وأن صاحبته ملعونة في الدنيا والآخرة ؛ فكثير من المسلمات يغفلن ويجهلن عواقب ما ذكر.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣٨٤).

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياك عند النعماء من الشاكرين وعند الضراء من الصابرين الراضين إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

توطين النفس:

ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يوطن نفسه دائما على أن هذه الدنيا دار ابتلاء وعمل لا دار هناء ومقر فالكل ولا بد راحل عنها ولا يبقى ولا يدوم غير وجه الله جل وعلا. وأن الآخرة هي دار البقاء والخلود.

قال جل وعلا: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة القصص: ٨٨)

وقال أيضا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (سورة الرحمن:٢٦- ٢٧)

فهاتان الآيتان العظيمتان فيهما عزاء لكل مخلوق في نفسه وفي أهله وفي كل من يحب وقبل ذلك فهما بيان من الله بأن الموت مصير كل من على هذه الدنيا.

فهذه هي حقيقة الدنيا ولو كان لأحد أن يكتب له الخلد لخلد الأنبياء ولو كان لنبي أن يخلد لخلد صفوتهم نبينا محمد ﷺ.

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حيا يخلد

وهذا هو أمر الله وقضاؤه في خلقه سبحانه وتعالى، فأنا وأنت وأبي وأبوك وأمي وأمك وقريبي وقريبك وحبيبي وحبيبك الكل منا لا بد من أن يجري عليه أمر الله لا محالة.

قال الله جل وعلا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ

وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٥)

قال العلامة السعدي رحمه الله:وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإن هذا كأس لابد من شربه وإن طال بالعبد المدى، وعمر سنين.. الخ.

والواقع يشهد بذلك وكما قال الشاعر:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا   أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فمن هيأ نفسه لاستقبال هذه الحقيقة هانت عليه كل الأمور وعلم أنه هو أيضا سائر إلى ربه في هذه الحياة ؛ عندها يطمئن بقضاء ربه ولا يعترض ولا يجزع ولا يعطله عن السير إليه موت والد ولا ولد ولا زوج ولا حبيب ولسان حاله يقول:

وإن افتقادي واحدا بعد واحد   دليل على أن لا يدوم خليل

فهذه حقيقة لا بد أن تكون دائما على البال حتى إذا نزلت المصائب وجدت قلبا مطمئنا غير جازع أو مستنكر لهذا الزائر فيستقبله استقبال المؤمن الموقن الصابر المحتسب المطمئن والراضي بقضاء ربه.

قال ثابت: وكان صلة[1] يأكل يوما فأتاه رجل، فقال: مات أخوك، قال، قال: هيهات، قد نُعي إلي، اجلس فكل، قال الرجل: ما يبقني إليك أحد، فقال: قال الله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الزمر: ٣٠)

قال الله جل وعلا: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوية المصري، تابعي زاهد مجتهد. (انظر روضة العقلاء)

ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ (البقرة: ١٥٥: ١٥٧)

قال العلامة السعدي رحمه الله: اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر،وبيان ما يعين على الصبر وما للصابرين من الأجر. الخ[1].

قال محمود الوراق رحمه الله:

يمثل ذو اللب في نفسه ... مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
رأى الهم يفضي إلى آخر ... صبر فصير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فإن بدهته صروف الزمان ... ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم في أمره ... لعلمه الصبر عند البلا

وقال الآخر:

أمالك إن الحزن أحلام نائم ... ومهما يدم فالوجد ليس بدائم
تأمل رويدا هل تعدن سالما ... إلى آدم أم هل تعد ابن سالم

وقال بشر بن الحارث:

كأن المنايا قد قصدن إليك ... يردنك فانظر ما لهن لديك
سيأتيك يوم لست فيه بمكرم ... بأكثر من حثي التراب عليك

(١) تفسير السعدي :ص٧٧

كتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى عمرو بن عبيد يعزيه عن أبيه: أما بعد: فإننا أناس من أهل الآخرة أسكنا الدنيا، أموات أبناء أموات أبناء أموات، فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت.

الدنيا دار ابتلاء:

قال الله جل وعلا: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (سورة اللملك: ١-٢)

ومن حسن العمل الصبر على المصائب التي يقدرها الله على خلقه في هذه الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧)

قال العلامة السعدي رحمه الله: أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنة الله تعالى في عباده، لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان ولم يحصل معها محنة لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر.

هذه فائدة المحن، ليست فائدتها إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه

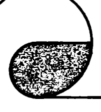
سيبتلي عباده ....[١]

وكتب السماك إلى الرشيد يعزيه بابن له: أما بعد، فإن استطعت أن يكون شكرك لله حين قبضه أكثر من شكرك له حين وهبه، فإنه حين قبضه أحرز لك هبته، ولو سلم لم تسلم من فتنته ؛ أرأيت حزنك على ذهابه وتلهفك على الفراق؟!

أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك؟! أما هو فقد خلص من الكدر، وبقيت أنت معلقا بالخطر.

واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت، وإما هي واحدة إن صبرت، فلا تجمع الأمرين على نفسك. انتهى

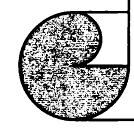
(١) تفسير السعدي: ص٧٧



الباب الثاني

الصبر عند نزول البلاء

- ثواب الصابرين
- الحذر من الإعتراض
- يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك
- سبيل النجاة
- خمس وعشرون طريقة لتخفيف المصائب والمحن



الباب الثاني
الصبر عند نزول البلاء

قال الله جل وعلا﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥: ١٥٧)

قال السعدي رحمه الله: فهذه الأمور لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس إلى قسمين:

جازعين و صابرين فالجازع حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ماهو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط قولا وفعلا، واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب، فالصابرون هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم

بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ ﴾ وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب ذلك الرضا عن الله، والشكر على تدبيره، لما هو خير لعبده وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفرا عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله وراجع إليه من أقوى أسباب الصبر.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ أي: ثناء وتنويه بحالهم ﴿ وَرَحۡمَةٞ ﴾ عظيمة، ومن رحمته إياهم أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله والعقوبة والضلال والخسار،فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من

الأجر، ويعلم حال غير الصابرين بضد حال الصابرين.

وأن هـذا الابـتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلا، وبيان أنواع المصائب[١].

و في الـصحيحين عـن أبـي سـعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" ومـن تـصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر.

وجـاء في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الطهـور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تمـلأ - مـا بـين الـسماء والأرض، والـصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضـياء، والقـرآن حجـة لك أو عليك، كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها. أخرجه مسلم وغيره.

قـال الحـافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله عن هذا الحديث: وهو حـديث عظـيم الفـوائد جلـيل الأحكـام وهـو أصل من أصول الإسلام وفيه الإشـارة إلى أن الـصابر لا يـزال مستضيئا بنور الهداية، مستمرا على الصواب، مع ما في ذلك من حصول الأجر والثواب[٢].

وقـد جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لـها، فقال لـها: اتقي الله واصبري. فقالت: وما تبالي بمصيبتي؟

فلمـا ذهـب قيل لـها إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت، فأتت ببابه فلـم تجـد علـى بابـه بوابين، فقالت يا رسول الله، لم أعرفك؟ فقال: إنما الصبر

---

(١) تفسير السعدي ص٧٧.

(٢) (برد الأكباد عند فقد الأحباب ص ٣٢) تحقيق فضيلة الشيخ مشهور حسن آل سلمان).

عند أول صدمة. خرجاه في الصحيحين.

ومعنى "إنما الصبر عند أول الصدمة" وفي رواية "عند الصدمة الأولى" أي: أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر. ولكنه إنما يحمد عند حدتها، وفورة شدتها، لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة زمان.

كما جاء عند البخاري معلقا أن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم لما مات ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت فسمعت صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا. (١)

وأكمل الهدي عند نزول المصبية هو هدي النبي ﷺ فقد جاء في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ لما مات ابنه إبراهيم عليه السلام: ذرفت عيناه دموع رحمة فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك لمحزونون" وسيأتي الحديث بتمامه إن شاء الله في فصل نماذج من قصص الصابرين.

قال المبارك بن فضالة العدوي سمعت الحسن رحمه الله يقول: كان أيوب عليه السلام كلما أصابته مصيبة قال: اللهم أنت أخذت، وأنت أعطيت مهما تبقي نفسي أحمدك على حسن بلائك. وقال نصر بن سيار رحمه الله: كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر.

قال الشاعر:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة ... لمؤمن واثق بالله لا لاهي

إن جاءه فرج أو نابه ترح ... في الحالتين يقول الحمد لله

---

(١) المصدر السابق.

قال آخر:

سبحان من يبتلي أناسا ... أحبهم والبلاء عطاء

فاصبر لبلوى وكن راضيا ... فإن هذا هو الدواء

سلم إلى الله ما قضاه ... ويفعل الله ما يشاء

ثواب الصابرين

اعلم رحمنا الله وإياك أن مدار الصبر على أركان ثلاث: إمساك النفس عن التسخط بالقضاء، وحبس اللسان عن القول السيء والبذيء، وتقييد الجوارح عن المعصية، كاللطم وشق الثياب، وتسويد الفناء.

فإذا قام الإنسان بهذه الأركان حاز فضيلة الصبر، الذي هو نصف الإيمان، وانقلبت محنته منحة عظيمة،واستحالت بليته عطية جسيمة، وصار ما كرهه محبوبا، وللأجور العظيمة حائزا مصيبا.

وقد جاء في القرآن والسنة ما يدل على عظيم ثواب الصابرين في الدنيا والآخرة ومن ذلك:

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (سورة الزمر: ١٠)

وقال: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (سورة النحل:١٢٦)

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦)

وقال: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: ١١١)

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما الأحاديث فهي كثيرة أيضا نذكر منها مايلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من يرد الله به خيرا يصب منه ".[١]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي

(١) أخرجه البخاري.

الناس أشد بلاء؟ قال: " الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ".(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة." (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل. فما يزال يبتليه مما يكره حتى يبلغه إياها "(٣)

والابتلاء في الأولاد من أعظم الابتلاء، وأثقل الأنكاد، ولهذا كان ثواب الصابر على ذلك جزيلا، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلا.

عن أبي سلمة رضي الله عنه راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " بخ بخ بخمس ما أثقلهن في الميزان: لاإله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه " (٤)

وجاء عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (سورة التغابن:١١)

قال: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وغيرهما (انظر السلسة الصحيحة رقم ١٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه. وقال الشيخ مشهور حسن مشهور : (إسناده حسن) انظر برد الأكباد ص ٤٢.

(٣) أخرجه أبو يعلى وابن حبان وقال الشيخ مشهور حسن (اسناده صحيح). المصدر السابق ص ٤٥.

(٤) حديث صحيح انظر (السلسلة الصحيحة (١٢٠٤).

ويرضى.[(١)]

وعن أم الدرداء رضي الله عنها أنها كانت تقول: إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لهم راضون به، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء، يوم القيامة.

وقال خلاد بن منصور الواسطي: حدثنا داود بن أبي هند[(٢)] قال: "رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يدعون إلى الحساب. قال: فقربت إلى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة، فرجحت السيئات على الحسنات. فبينما أنا كذلك مغموم، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء، فوضعت مع حسناتي - يعني فرجحت - فقيل له: تدري ما هذا؟ قلت: لا. قال: سقط كان لك.

قلت: فإنه قد ماتت لي صبية ابنة لي. فقيل لي: تلك ليست لك، لأنك كنت تتمنى موتها.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (٨ / ٦٥٣).

(٢) داود بن أبي هند هذا رأى أنس بن مالك، وكان أحد أعلام الأمة، صائم الدهر، قانتا لله توفي سنة أربعين ومائة.

الحذر من الاعتراض

قـال الحسن البصري رحمه الله: قد والله رأيتهم يتفاوتون في العافية ؛ فإذا نزل البلاء، تساووا.

إن كـان الـسفر يـسفر عن أحوال الرجال ومعادنهم فإن المصائب والمحن أيضا لـها نصيب من ذلك فالأخيرة تسفر عن قوة صبر العباد ومدى تسليمهم ورضـاهم لقـضاء ربهـم وقـدره الـذي أجراه عليهم فعندها تتمحص النفوس وتتميز المعادن ؛ فينقسم الناس إلى قسمين:

القـسم الأول: راض بقـضاء الله ومـؤمن بـأن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

القسم الثاني: معترض ساخط على قضاء ربه.

فالأول: مأجور و موعود بالخلف والرحمة في الدنيا والآخرة.

والآخـر: مـأزور ومـتوعد بالخسارة في الدنيا والآخرة وهذا المسكين إنما أتي من قبل جهله بالله عز وجل.

فهـذا قـد حـرم نفـسه مـن الأجـر العظـيم الـذي أعـده الله ووعد عليه الصابرين في قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٥٦)

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نعم العدلان ونعم العلاوة: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ انتهى.

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك

قال ابن الجوزي رحمه الله:

ولقد سمعت بعض من كنت أظن فيه الخير وهو في ليالي موته يقول: ربي هو ذا يظلمني!!.

فلم أزل منزعجا مهتما بتحصيل عدة ألقى بها ذلك اليوم.

كيف وقد روي أن الشيطان يقول لأعوانه في تلك الساعة: عليكم بهذا؛ فإن فاتكم ؛ فلم تقدروا عليه[1] انتهى كلامه رحمه الله.

وقال في موضع آخر: رأيت رجلا كبيرا أعرفه قد قارب الثمانين، وهو من أهل الدين المحافظين على الجماعة، فمات ولد لابنته، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعوه - أي الله عز وجل - فإنه ما يستجيب له.

وقال أيضا رحمه الله: حدثني خالي محمد بن عثمان قال: كنت مشدا بقرية التل، فسمعت عن شيخ قد تجاوز الثمانين ولا يصلي، وقد كان قبل ذلك كثير الصلاة مع الجماعة وفعل الخير، ثم ترك ذلك، فدعوته وقلت: يا شيخ! لم لا تصلي؟ فقال: وكيف أصلي وكان لي أولاد فماتوا، وكان لي غنم ففنيت، فأنا ما بقيت أصلي له ولا ركعة!.... انتهى كلامه رحمه الله.

قلت: ومثله في هذا الزمان رجل من أهل البادية لم يرزق من الأولاد إلا بنية واحدة وكان له جار قد رزق من الأولاد قرابة العشر ما بين ذكور وإناث.

---

(١) لعل هذا القول من أقوال بعض الصحابة أو التابعين ؛ أو يكون من الإسرائيليات ؛ أما في المرفوع لم يثبت فيما نعلم.

ومـع مـرور الأيام توفيت ابنته على أثر مرض شديد ألم بها فما كان منه إلا أن نظـر إلى بيت جاره ثم رفع رأسه إلى السماء وتلفظ بكلمات ليته خرس مـن قبل أن يتفوه فيها لقد قال مخاطبا ربه الرحيم الحكيم العليم:ضاقت عليك الأنفس فلم تجد إلا بنيتي!!. نعوذ بالله من سخط الله وغضبه.

سبيل النجاة

الاعتراض والتسخط مرض وداء خطير - وإن شئت فقل هو طوفان مهلك - إذا نزل بساحة العباد أهلك دينهم و أغضب عليهم ربهم.

فمثل هؤلاء هم بحاجة ماسة جدا إلى سفن نجاة تنقذهم من هذا الهلاك. وقد بين العلماء أفضل وأنفع هذه السفن بل وأعظمها ؛ وهو بمثابة سفينة نوح في وقتها ألا وهي سفينة العلم التي من تخلف عنها أغرقه طوفان المصائب والمحن.

قال ابن الجوزي رحمه الله: فالعاقل من أعد ذخرا وحصل زادا، وازداد من العدد، للقاء حرب البلاء.. ولا بد من لقاء البلاء، ولو لم يكن إلا عند صرعة الموت ؛ فإنها إن نزلت - والعياذ - بالله - فلم تجد معرفة توجب الرضى أو الصبر، أخرجت إلى الكفر.

وقال رحمه الله: ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشا من العارفين بالله عز وجل، فإن العارف به مستأنس به في خلوته. فإن عمت نعمة علم من أهداها، وإن مرّ مرٌّ حلا مذاقه في فيه، لمعرفته بالمبتلي.

وإن سأل فتعوق مقصوده، صار مراده ما جرى به القدر، علما منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة، وثقته بحسن التدبير.

قال الإمام محمد بن محمد المنبجي رحمه الله:

فلا شيء أنفع من العلم، لأن العالم لو حصل له هلع شديد في مصيبته يعلم أنها زلة منه، فيدري كيف يتنفس، والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق، فإذا امتحن الشخص ينبغي له أن يتداوى بالأدوية

الـشرعية، فإنـه يقال: عند الامتحان يكرم الشخص أو يهان، أما علم أنه لا بد من الفرقة؟

وعـند الطبرانـي مـن حـديث سـهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قـال: " جـاء جـبريل علـيه السلام إلى النبي ﷺ فقال: " يا محمد! عش ما شئت، فإنـك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل،وعزه استغناؤه عن الناس " [(١)].

فـنعوذ بـالله مـن عـدم الـصبر عـند المحـنة، ونسأله الثبات في الأمر، فإنه والعـياذ بـالله يخـاف علـى الـشخص من سوء الخاتمة إذا سخط الأقدار ونازع القضاء والقدر أهله ؛ فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة. [(٢)]

اعلـم رحمني الله وإياك: " أن المصاب إذا صبر واحتسب، وركن إلى كريم، رجـاء أن يخلـف الله علـيه، ويعوضـه عـن مـصابه، فـإن الله تعالى لا يخيبه بل يعوضه، فإنه من كل شيء عوض إلا الله تعالى فما منه عوض، كما قيل:

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعتــه عوض

قـال شـريح بن عبيد رحمه الله: كانت تعزية أهل الجاهلية: كل مصيبة ما عدا النفس جلل. فلما أسلموا وتفقهوا ؛ قالوا كل مصيبة ما عدا النار جلل "

فليعلم المصاب أن حظه من المصيبة ما تحدثه لـه، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط.

فـاختر لنفـسك خـير الحظوظ أو شرها ؛ فإن أحدثت لـها سخطا وكفرا كـنت في ديـوان الهـالكين، وإن أحـدثت لـها جزعا وتفريطا في ترك واجب أو

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم(٨٣١).

(٢) انظر تسلية أهل المصائب ص ٣٥.

فعل محرم كنت في ديوان المفرطين، وإن أحدثت لها شكاية وعدم صبر ورضى كنت في ديوان المفرطين وإن أحدثت اعتراضا عليه وقدحا في حكمته ومجادلة في الأقدار، فقد قرعت باب الزندقة، وفتح لك وولجته، فاحذر عذاب الله يحل بك، فإنه لمن خالفه بالمرصاد.

وإن أحدثت صبرا وثباتا كنت في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له رضى بالله ورضى عن الله وفرحا بقضائه كنت في ديوان الراضين، وإن أحدثت له حمدا وشكرا كنت في ديوان الشاكرين الحامدين، وإن أحدثت له محبة واشتياقا إلى لقائه كنت في ديوان المحبين المخلصين.

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال: "إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع[١] وخلاصة القول في هذه المسألة كما يبينه الإمام ابن القيم رحمه الله إذ يقول: كل أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختيارا وإما اضطرارا، فالكريم يصبر اختيارا ؛ لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد عليه الجزع فائتا، ولم ينتزع عنه مكروها، وإن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله، فالجزع ضره أقرب من نفعه فإذا كان آخر الأمر الصبر والعبد غير محمود، فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

فائدة:

إنه مما ينبغي التنبيه إليه هو أن الحزن والبكاء لا يعارض الرضى. بشرط

(١) صحيح الجامع (١٧٠٦).انظر تسلية أهل المصائب.

أن لا يكون البكاء بكاء سخط واعتراض، ودليل ذلك ما جاء في البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: اشتكى سعد بن عباده شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية، فقال: " قد قضى "؟ قالوا: لا يا رسول الله! فبكى النبي ﷺ، فلما رأى بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال: " ألا تسمعون، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار بيده إلى لسانه - أو يرحم ".[1]

وبكى الحسن البصري رحمه الله على أخيه سنة، فقيل له: يا أبا سعيد! أكثرت! فقال الحمد لله الذي لم يجعل بكاء يعقوب عليه السلام على ابنه عارا حتى ابيضت عيناه من الحزن، فرحم الله سعيدا وتجاوز عنه! ﴿ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦ ﴾ (سورة الأحقاف:١٦)

---

(١) فائدة أنفس من الذهب :

البكاء والحزن مع الرضى عند المصيبة أكمل وأفضل من الضحك والفرح، لأن الأول صفة كمال في موضعه صادر من قلب ينبض بالرحمة وتتدفق منه الشفقة والرأفة على الميت ؛ولذلك لما ضاق هذا المشهد والجمع بين الأمرين – يعني الرحمة والرقة على الميت والرضا عن الله تعالى – على بعض العارفين من السلف ؛ وذلك عندما توفي ابنه جعل يضحك، فقيل له : تضحك في مثل هذه الحال ؟ فقال : إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب الأحوال والتصوف وقالوا كيف يبكي رسول رب العالمين ﷺ يوم مات ولده – إبراهيم – وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : هدي نبينا ﷺ أكمل من هدي هذا العارف ؛ فإنه ﷺ أعطى العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضى عن الله ورحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمة ورأ فة، فحملته الرأفة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضى والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة. والله تعالى أعلم. (انظر زاد المعاد ١/ ٤٨).

خمس وعشرون طريقة لتخفيف المصائب والمحن

إن معـرفة عـلاج المـصائب والمحـن، يحفظ على النفس إيمانها ويقوي من عـزمها وصـبرها،وهـي بمـثابة المضادات الحيوية،التي تقاوم المرض.فمن عرفها ووعاهـا فإنـه قد تحصن بحصن منيع فهو ينظر إلى المصائب والمحن إذا ما وقعت نظـرة الواقـف علـى الـشاطئ وهو يرى البواخر تشق طريقها ببطء متجهة إلى المرسـى ... فإذا ما أتى بعد حين ورآها قد رست لا يتفاجأ بها وبوصولها لأنه قد رآها من قبل أن ترسو.

وكـذلك أيـضا معـرفة عـلاج المصائب والمحن أمان بإذن الله بالثبات عند نزولها فمتى نزلت وجدت نفسا مطمئنة محصنة بالرضى واليقين.

وإن من هذه العلاجات ما ذكره أهل العلم وهي كالتالي:

أولا: أن يعلـم الإنـسان أن هذه الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.

قال الشاعر:

وما استغربت عيني فراقا رأيتـه ... ولا علمتني غير ما القلب عالمه

وقال آخر:

إلى الله أشـكو لا إلى الـناس أنـني ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخـلاي لـو غـير الممات أصابكم ... جزعت ولكن ما على الموت معتب

الثاني: أن يعلم أن المصيبة ثابتة.

الثالث: أن يقدر وجود ما هو أكبر وأكثر من تلك المصيبة.

الرابع: النظـر في حـال مـن ابتلـي بمثل هذا البلاء، فإن في هذا التأسي

راحة عظيمة.وتخفيف للحزن.

قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما - في ناحية المسجد - وذلك حين صلب ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما - فمال إليها وقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري. فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحي بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

قال رجل من طيئ:

فلولا الأسى ما عشت في الناس ساعة ... ولكن إذا ما شئت أسعدني مثلي

وقالت الخنساء رحمها الله:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

وهذا المعنى قد حرمه الله عز وجل أهل النار، فإن المخلدين فيها كل واحد محبوس وحده، فهو يظن، أنه لم يبق في النار سواه[1].

الخامس: النظر في حال من ابتلي أكثر من هذا البلاء، فيهون عليه هذا البلاء.

السادس: رجاء الخلف إن كان من مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.

السابع: طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، فإن ترقى إلى مقام الرضى فهو الغاية.

الثامن: أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خير له.

---

(١) انظر: صورة النساء، آية: ١٠٤.

التاسع: أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

العاشر: أن يعلم أنه مملوك وليس للملوك في نفسه شيء.

الحادي عشر: أن هذا الواقع وقع برضى المالك، فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به السيد.

الثاني عشر: معاتبة النفس عند الجزع، وأن هذا الأمر لا يرضيه، فما وجه الجزع مما لابد منه.

الثالث عشر: إنما هي ساعة فكأن لم تكن.

الرابع عشر: العلم بأن الدنيا فانية وزائلة وأن سرورها وشرورها آفلة وهي مخلوقة للذهاب والأفول، وكل ما فيها يتغير ويحول، ويضمحل ويفنى ويزول، لأنها إلى الآخرة طريق، وهي مزرعة للآخرة على التحقيق.

الخامس عشر: إن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها، فيتفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلو عنها.

السادس عشر: العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية، وهي تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية.

السابع عشر: أنه ما قدر يكون لا محالة، ومن ابتلي فقد حصل له ما قدر عليه وناله، وكفي شر ذلك ووباله.

وما أحسن ما روي في معناه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه فقد روي عنه أنه قال: ما ابتليت ببلاء إلا وكان لله عز وجل علي فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أحرم الرضى به، وإذ أرجو الثواب عليه.

وما أحسن ما قيل:

فلولا رجاء الأجر فيك وإنه ... ثواب وإن عزالمصاب عظيم
وإنك قربان لدى الله نافع ... وحظ لنا يوم الحساب جسيم
لأضعف حزني يا بني وأوشكت ... علي البواكي بالرنين تقوم

وقول آخر:

وما يغني التأوه إذ تولى ... وهل ما فات مرتجع بآه
فإقرارا وتسليما وصبرا ... على ما كان من قدر الإله

التاسع عشر:

أنفع الأدوية للمصاب موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وإن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب ؛ فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه وأحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه، وأسخط عليه محبوبه.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به.

وكان عمران بن حصين رضي الله عنه يقول في مرضه: أحبه إلي أحبه إليه. وقال بعده أبو العالية: وهذا دواء المحبين وعلاجهم لأنفسهم ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به.

العشرون:

اعلم أنك لست الوحيد في هذه الطريق فهي مطروقة قبلك وستطرق بعدك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ذكر ابن الجوزي رحمه الله بإسناده: عن عبد الله بن زياد رحمه الله أنه قال: حدثني بعض من قرأ بالكتب: أن ذا القرنين، لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل. مرض مرضا شديدا، فعلم أنه مرض الموت.

وأشفق على نفسه فكتب إلى أمه معزيا في ذكاء قائلا: يا أماه إذا جاءك كتابي فاصنعي طعاما. واجمعي من قدرت عليه من الناس. ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة واعلمي هل وجدت لشيء قرارا ؛ إني لأرجو أن يكون الذي أنا أذهب إليه خيرا مما أنا فيه.

فلما وصل كتابه صنعت طعاما عظيما. وجمعت الناس وقالت: لا يأكل من هذا من أصيب بمصيبة. فلم يتقدم أحد للأكل من هذا الطعام. فعلمت مراد ابنها فقالت:بني من مبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت.فعليك السلام حيا وميتا.

الحادي والعشرون:

معرفة قدر الدنيا ومدة المكوث بها ومنزلتها من الآخرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ؛ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً[1]، فقال: "مالي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها".[2]

وروى الحافظ ابن عساكر أنه مات لرجل من السلف ولد، فعزاه سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد وآخرون، وهو في حزن شديد، حتى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك، فافرج عن ابنك قبلك،أما كنت تفرح؟ قال: بلى ؛ قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك. فسري عن الرجل فقال: تعزيت .

(١) هو ما يفترش على الأرض.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال (حديث حسن صحيح)، انظر صحيح الترغيب(٣/ ٢٧٩).

الثاني والعشرين:

التفكر بثواب الصبر على المصيبة.

وهو ثواب عظيم جزيل إذا وجده يوم القيامة تمنى لو أنه أصيب بجميع أهله وأقاربه حتى ينال أجر الصبر عليهم كيف لا والله جل وعلا يقول: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة الزمر:١٠)

وقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧)

الثالث والعشرون:

وهذا خاص بمن أصيب بفقد أحد أبنائه عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون نعم. فيقول: فماذا قال عبدي، فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ".رواه مسلم.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال: " كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه إلى أن هلك الصبي، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، يذكر ابنه ويحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: ما لي لا أرى فلانا؟ فقالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيت هلك، فمنعه ذلك من حضور الحلقة، فلقيه النبي ﷺ فسأله عنه، فأخبره أنه هلك فعزاه عليه، ثم قال: يا فلان: أيهما كان أحب إليك، أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد

سبقك إليه يفتح لك؟ فقال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى أبواب الجنة فيفتحها لي أحب إلي قال: فذلك لك،قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله جعلني الله فداك، هذا لفلان خاصة،أو لمن هلك له فرط من المسلمين كان ذلك له؟ قال:بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان ذلك له"[١]

روى الإمام القفال وقال: كان في جواري رجل يأبى التزويج، فلما كان في بعض الليالي استيقظ من نومه من الليل و نادى: زوجوني زوجوني، فسئل عن ذلك، فقال: لعل الله أن يرزقني ولدا يقبضه قبل البلوغ وقبل موتي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت والخلق في الموقف وأنا معهم، وقد كظني العطش، وإذا قد ظهر أطفال بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور يتخللون الجمع ويسقون واحدا بعد واحد ؛ فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم، اسقني، فقد أجهدني العطش، فنظر إلي شزرا، وقال: ليس لك فينا ولد، وإنما نسقي آباءنا وأمهاتنا، فقلت: من أنتم؟ قالوا: أطفال المسلمين.

وكان أبو ذر رضي الله عنه لا يعيش له ولد. فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد؟ فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء.

الرابع والعشرون:

اعلم أن كل ما أصابك في كتاب قبل أن يصيبك وهذا مما يعين على تخفيف المصيبة وهو ما يسمى الإيمان بالقضاء والقدر ؛ فالأمور كلها مقدرة ومكتوبة فلم الجزع إذا؟ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت

(١) (رواه النسائي وغيره وقال ابن عبد البر في التمهيد : ٦/ ٣٤٩ هذا حديث ثابت صحيح).

رسول الله ﷺ يقول: " قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " رواه مسلم في صحيحه.

وقال الربيع بن صالح رحمه الله: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج فبكى رجل فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك. قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (سورة الحديد:٢٢)

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله جل وعلا (لكيلا تأسوا على ما فاتكم): أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطأكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان.

الخامس والعشرون:

معرفة سعة رحمة الله عز وجل ؛ اعلم يا من أصبت بفقد حبيب أو قريب أن من فقدته قد قدم على من هو أرحم به منك وأرحم به من أمه عليه؛ أقبل على رب غفور رحيم يغفر الزلات ويضاعف الحسنات يحب العذر من عباده ويتجاوز عن الذنب ورحمته سبقت عذابه وهذه صورة واحدة تكفي لتوضيح ذلك: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي كانت فقدت صبيها وتضررت باجتماع اللبن في ثدييها، فكانت تحلب ثديها تسقي، وإذا وجدت صبيا في السبي أخذته فأرضعته ليخف عنها، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: أترون أن هذه طارحة ولدها في النار؟.قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه.

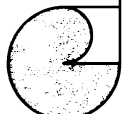
فقال ﷺ: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها". متفق عليه.

وقيل لإعرابي اشتد مرضه: إنك ستموت، فقال: وإلى أين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده".

الباب الثالث

من قصص الصابرين

- القصة الأولى : (إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).
- القصة الثانية : (بارك الله لكما في غابر ليلتكما).
- القصة الثالثة : (وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل).
- القصة الرابعة : (واستعينوا بالصبر والصلاة).
- القصة الخامسة : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا).
- القصة السادسة : (رضيت عن الله) .
- القصة السابعة : (أفأستكين لها).
- القصة الثامنة : (وما يمنعني أن أحتسبه).
- القصة التاسعة : (أيوب هذه الأمة).
- القصة العاشرة : (اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني).
- القصة الحادية عشر : (وكل أم و أن سرت بما ولدت يوما ستفقد من ربت من الولد) .
- القصة الثانية عشرة : (هكذا فلتكن الأمهات).
- القصة الثالثة عشر : (رحمك الله يا هيثم).
- القصة الرابعة عشر : (أضياف ودماء).



من قصص الصابرين

إن الله عـز وجـل قـد ذكـر في كتابه كثير من القصص لما فيها من فوائد عظيمة وأهداف نبيلة منها أخذ العبرة والعظة والتعزي أيضا بمن سبقنا.

ومـن هـذا المنطلق أحببت أن أضـمن هـذه الرسالة نماذج من قصص بعـض الصابرين الذين سطروا بصبرهم أروع صور الصبر والرضى بقضاء الله وقدره.

وأذكـرها هـنا لعـل الله أن يـنفع بها وأن يقتدى بأهلها وأن تكون عونا على التـصبر عـند فقـد الأحبة. وأول من يجب أن يبدأ بذكر صبره هو سيدنا وإمامنا وسيد الصابرين على الإطلاق رسول الله ﷺ.

القصة الأولى :

إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون

عـن أنـس بـن مالـك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبـي سيف القين، وكان ظئرا لإبراهيم (أي زوج مرضعة إبراهيم عليه السلام) - ابـن الـنبي ﷺ - فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعـد ذلك، وإبراهيم يجود في نفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال لـه عـبد الـرحمن بـن عـوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا بن عـوف"! إنهـا رحمـة، ثـم اتـبعها بأخـرى. فقال العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقـول إلا مـا يرضـي ربـنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون". أخرجه البخاري ومسلم.

علما أنه كان ﷺ ليس له من الأولاد إلا إناثا والحاجة ماسة إلى ابن يساعده في أمور دينه ودنياه.

ولكنه يعلم هو بأبي وأمي ﷺ أن الخير كله فيما اختاره الله ولم يجزع بأبي هو وأمي ﷺ. وأرسل هذه الكلمات التي يعجز القاموس أن ينظم مثلها في البلاغة والبيان.

القصة الثانية :

بارك الله لكما في غابر ليلتكما

وهي قصة أم سليم مع زوجها أبي طلحة ؛ وأقول هنا كما قال العلامة الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز ص ٣٥: [ولا بأس من أن أسوق هنا قصتهما في ذلك - على طولها - لما فيها من الفوائد والعظات والعبر ...: وقد عنيت عناية خاصة بجمع روايات هذه القصة وألفاظها، لما فيها من روعة وجلالة، وليأخذ القارئ عنها فكرة جامعة صادقة، وبذلك تتم العبرة والفائدة.[١]

قال أنس رضي الله عنه: " قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم - وهي أم أنس - إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ يحرم الخمر - فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة، فخطب أم سليم، فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا

---

(١) (كتاب أحكام الجنائز ص٣٨).

يصلح لي أن أتزوجك! فقال: ما ذاك دهرك! قالت: وما دهري؟ قال الصفراء والبيضاء -! أي الذهب والفضة - قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام، [فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره] قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ، فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت (وهو البُناني أحد رواة القصة عن أنس): فما بلغنا أن مهرا كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهرا، فتزوجها وكانت امرأة مليحة العينين، فيها صغر، فكانت معه حتى وُلد له بُني، وكان يحبه أبو طلحة حبا شديدا. ومرض الصبي [مرضا شديدا]، وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعضع له، [فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ، ويأتي النبي ﷺ فيصلي معه، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار، ويجيء يقيل ويأكل، فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب، فلم يجيء إلى صلاة العتمة] فانطلق أبو طلحة عشية إلى النبي ﷺ (وفي رواية: إلى المسجد) ومات الصبي فقالت أم سليم: لا ينعين إلى أبي طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذي أنعاه له، فهيأت الصبي [فسجت عليه]، ووضعته [في جانب البيت]، وجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ حتى دخل عليها [ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه] فقال: كيف ابني؟ فقالت: يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة [وأرجو أن يكون قد استراح!] فأتته بعشائه [فقربته إليهم فتعشوا، وخرج القوم]، [قال: فقام إلى فراشه فوضع رأسه]، ثم قامت فتطيبت، [وتصنعت له أحسن ما كانت

تصنع قبل ذلك]، [ثم جاءت حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله]، [فلما كان آخر الليل] قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا قوما عارية لهم، فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا ؛ قالت فإن الله عز وجل كان أعارك ابنك عارية، ثم قبضه إليه، فاحتسب واصبر! فغضب ثم قال: تركتيني حتى إذا وقعتِ بما وقعتِ به نعيت إلي ابني! [فاسترجع، وحمد الله]، [فلما أصبح اغتسل]، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ [فصلى معه] فأخبره، فقال رسول الله ﷺ بارك الله لكما في غابر ليلتكما، فثقلت من ذلك الحمل، وكانت أم سليم تسافر مع النبي ﷺ، تخرج إذا خرج، وتدخل معه إذا دخل، وقال رسول الله ﷺ إذا ولدت فأتوني بالصبي، [قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: ياربِّ إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد فانطلقا، قال: وضربها المخاض حين قدموا]، فولدت غلاما، وقالت لابنها أنس: [يا أنس! لا يطعم شيئا حتى تغدوا به إلى رسول الله ﷺ، [وبعثت معه بتمرات]، قال: فبات يبكي، وبت مجنحا - أي مائلا - عليه، أكالئه حتى أصبحت، فغدوت إلى رسول الله صلى الله عيه وسلم]، [وعليه بردة]، وهو يَسِمُ إبلا أو غنما [قدمت عليه]، فلما نظر إليه، قال لأنس: أولدت بنت ملحان؟ قال: نعم، [فقال: رويدك أفرغ لك]، فألقى ما في يده، فتناول الصبي وقال: [أمعه شيء؟ قالوا: نعم، تمرات]، فأخذ النبي ﷺ

[بعض] التمر [فمضغهن، ثم جمع بزاقة]، [ثم فغر فاه، وأوجره إياه]، فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يتلمظ: [يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله ﷺ، فكان أول من فتح أمعاء ذلك الصبي على ريق رسول الله ﷺ فقال: انظروا إلى حب الأنصار التمر، [قال: قلت: يا رسول الله سمه، قال:] [فمسح وجهه] وسماه عبد الله، [فما كان في الأنصار شاب أفضل منه]، [قال: فخرج منه رَجِلُ - جمع راجل، وهو ضد الفارس - كثير، واستشهد عبد الله بفارس].

القصة الثالثة :

وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل

عندما تسلط الحجاج على المدينة روع أهلها الآمنين وقتل كثيرا من التابعين ولم يفرق بين عالم وبين جاهل بل وصل به الأمر إلى أن أهان من تبقى من أصحاب رسول الله ﷺ وتسبب في موت بعضهم. وكان من أولئك الذين لم يسلموا من شره ذلك الصحابي العابد المغوار المجاهد عبد الله بن الزبير رضي عنهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في ترجمته: وفي البخاري عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام، قاريء القرآن، أبوه حواري رسول الله ﷺ، وأمه بنت الصديق، وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ، وعمة أبيه خديجة بنت خويلد.(١)

هذا العابد المجاهد لم يسلم من شر ذلك السفاح فقد قتله ثم جعله معلقا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٨١.

لعـدة أيـام في العراء فكانت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قد طعن سـنها وكـف بـصرها فكانـت تمر عليه وهي في طريقها إلى المسجد فتقف عنده فـتقول: أمـا آن لـهـذا الفـارس أن يترجـل.؟ وفي يـوم مـن الأيـام جاءت إلى المـسجد -- فقـيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن أسماء بنت أبي بكر في ناحـية المـسجد ؛ فمـال إلـيها وقـال: إن هـذه الجـثث لـيست بـشيء، وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري.

فقالـت: ومـا يمـنعني؟ وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

القصة الرابعة :

وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ

روى سعيد بن منصور أن ابن عباس رضي الله عنهما نعي إليه أخوه قثم - وهو في سفر - فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فأناخ ثم صلى ركعتين فأطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (سورة البقرة:٤٥)

القصة الخامسة :

لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً

يروي لنا هشام بن عروة بن الزبير أن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادي القرى، وجد في رجله شيئا، فظهرت به قرحة، ثم ترقى

به الوجع، وقدم على الوليد وهو في محمل فقال: يا أبا عبد الله اقطعها. قال: دونك ؛ فدعا لـه الطبيب وقال: اشرب المرقد، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق فما زاد أن يقول:حس حس. فقال الوليد: ما رأيت شيخا قط، أصبر من هذا، وأصيب عروة بابنه محمد في ذلك السفر، ركضته بغلة في الإسطبل، فلم يسمع منه في ذلك كلمة، فلما كان بوادي القرى قال: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ (سورة الكهف:٦٢)

ثـم قـال: اللـهم كـان لـي بنون سبعة، فأخذت واحدا وأبقيت لي ستة، وكـان لـي أطـراف أربعـة، فأخذت واحدا وأبقيت لي ثلاثة، ولئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت. انتهى.

الله أكـبر..مـا أعظـم يقـين هذا المؤمن و بمثل هذا الإيمان تقابل المصائب والمحـن..ولا شـك أن مـصابه عظيم حتى أن أهل زمانه تألموا لألمه..وتحيروا في تعـزيته رغـم صـبره وإيمانـه رحمـه الله،لم يعهـدوا حادثة مثل حادثته أو تفوقها يـسلوه بهـا حتـى جـاءهم خـبر ذلك الرجل الذي غطى مصابه مصاب عروة وقصته هي القصة التالية.

القصة السادسة :

رضيت عن الله

يـروى أنـه خـرج رجـل مـن عـبس يبحث عن ابله التي ضلت، فذهب والتمـسها، ومكـث ثلاثـة أيـام في غـيابه، وكان هذا الرجل غنيا، أعطاه الله ما شـاء مـن المال والإبل والبقر والبنين والبنات، وكان هذا المال والأهل في منزل

رحب على ممر سيل في ديار بني عبس، في رغد وأمن وأمان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبناؤه أن الحوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقدا الليل مسرورا بأوله   إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

نام الأهل جميعا كبارهم وصغارهم، معهم أموالهم في أرض مستوية، ووالدهم غائب يبحث عن ضالته، وأرسل الله عليهم سيلا جارفا لا يلوي على شيء، يحمل الصخور كما يحمل التراب، ومر عليهم في آخر الليل، فاجتاحهم جميعا، واقتلع بيوتهم من أصلها، وأخذ الأموال معه جميعا، وأخذ الأهل جميعا، وزهقت أرواحهم مع تدفق المال، وصاروا أثرا بعد عين، فكأنهم لم يكونوا، صاروا حديثا يتلى على الإنسان.

وعاد الأب بعد ثلاثة أيام إلى الوادي، فلم يحس أحدا، ولم يسمع وافدا، لا حي ولا ناطق، ولا أنيس، المكان قاع صفصف، يا ألله!! يا للداهية الدهياء!! لا زوجة لا ابن لا ابنة، لا ناقة لا شاة لا بقرة، لا درهم، لا دينار، لا ثوب لا شيء، إنها مصيبة!!

وزيادة في البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فأعمى عينيه، وأخذ الرجل يصيح في الصحراء عله أن يجد رجلا يقوده إلى مكان يأوي إليه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابي آخر، فأتى إليه وقاده وذهب به إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة في دمشق، وأخبره الخبر، فقال كيف أنت؟ قال: رضيت عن الله[1].

---

(١) من كتاب : (لا تحزن للشيخ عائض القرني).

فقال الوليد: اذهبوا بع إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه.[(١)]

القصة السابعة :

أفأستكين لها

عن ثابت البناني رحمه الله قال: مات عبد الله بن مطرف، فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن، فغضبوا، فقالوا: يموت عبد الله وتخرج في مثل هذه مدهنا؟

قال أفأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصالا كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧)

القصة الثامنة :

وما يمنعني أن أحتسبه

روى ابن أبي حاتم بإسناده " في تفسيره " عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابن يقال له: يحيى، فلما نزل في قبره قال له رجل:

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ٢ / ٦٧.

والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه، فقال والده: وما يمنعني أن أحتسبه وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات. انتهى. فهذا رجل صابر راض محتسب، وما أحسن فهمه وحسن تعزيته لنفسه، وثقته بموعود ربه عز وجل.

القصة التاسعة :

أيوب هذه الأمة

قال عبدالله بن محمد: خرجت إلى ساحل البحر مرابطا وكان رباطنا يومئذ عريش مصر قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وماله من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: " اللهم أوزعني أن أحمدك، أكافيء به شكر نعمتك التي أنعمت علي، وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ".

قال عبدالله: قلت: والله لآتين هذا الرجل، ولأسألنه أنى له هذا الكلام، فهم أم علم أم إلهام ألهم؟ فأتيت الرجل فسلمت عليه، فقلت سمعتك وأنت تقول: " اللهم.." فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ قال: وما ترى ماصنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي نارا فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمرالأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكرا، لما أنعم علي من لساني، ولكن يا عبدالله إذا أتيتني لي إليك حاجة، قد تراني على أي حال أنا، أنا لست أقدر على نفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي، فيوضيني، وإذا جعت أطعمني،

وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لي رحمك الله.

فقلت: والله ما مشى خلق في حاجة خلق، كان أعظم عند الله أجرا ممن يمشي في حاجة مثلك. فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد، حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت: أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه، إذا خطر على قلبي ذكر أيوب النبي عليه السلام، فلما أتيته سلمت عليه، فرد علي السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي.

قلت هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وأهله وولده؟ قال: بلى.

قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا. قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟

قال: نعم: قلت فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا.قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضا لمار الطريق

هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرا شاكرا حامدا، أوجز رحمك الله.

قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقا يعصيه، فيعذبه بالنار، ثم استرجع، وشهق شهقة فمات، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضر

ولا نفع.فسجيته بشملة كانت علي، وقعدت عند رأسه باكيا، فبينما أنا قاعد، إذا أقبل علي أربعة رجال، فقالوا: يا عبدالله ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه، فعسى أن نعرفه.

فكشفت عن وجهه، فانكب القوم عليه، يقبلون عينيه مرة، و يديه أخرى، ويقول كل منهم بأبي عين طالما غضت عن محارم الله، وبأبي جسم طالما كان ساجدا والناس نيام. فقلت: من هذا يرحمكم؟ فقالوا هذا أبو قلابه الجرمي، صاحب ابن عباس لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن علي الليل، وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلتان من حلل الجنة، وهو يتلو الوحي: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ (سورة الرعد:٢٤)

فقلت: ألست بصاحبي؟ قال:بلى،قلت: أنى لك هذا؟قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية[١].

القصة العاشرة :

اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني

قال عبد الملك بن قريب الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية،

---

(١) من كتاب ١٠٠ قصة من قصص الصالحين ص ٣٥.

فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها، فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام. قالت: من أنتم؟ قلنا: قوم ضالون رأيناكم فأنسنا بكم. فقالت: يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم أهل له، ففعلنا فألقت إلينا مسحا. فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني. ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعته مرة. فقالت: أسأل الله بركة المقبل. أما البعير فبعير ولدي، وراكبه فليس بولدي. قال: فوقف الراكب عليها، وقال: يا أم عقيل. أعظم الله أجرك في عقيل ولدك. فقالت: ويحك مات ولدي؟! قال: نعم. قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر. فقالت: انزل واقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشا فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام. فجعلنا نأكل ونعجب من صبرها. فلما فرغنا خرجت إلينا، وقالت: يا قوم هل فيكم أحد يحسن من كتاب الله عز وجل شيئا؟ قلت: نعم. قالت: اقرأ علي آيات أتعزى بها عن ولدي.

قلت: يقول الله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة آية ١٥٥-١٥٧)

قالت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: والله إنها لفي كتاب الله هكذا. فقالت: السلام عليكم. ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون. وعند الله أحتسب عقيلا.

ثم قالت: اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني، ولو بقي أحد لأحد. قال: قلت في نفسي: تقول لبقي ابني لحاجتي إليه، فقالت: لبقي

محمد لأمته. فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل. ذكرت رحمها الله ابنها بأحسن خصاله وأجمل خلاله، ثم لما علمت أن الموت لا مدفع له ولا محيص عنه، وأن الجزع لا يجدي نفعا، وأن البكاء لا يرد هالكا، رجعت إلى الصبر الجميل، واحتسبت ابنها عند الله عز وجل ذخيرة نافعة ليوم الفقر والفاقة.

القصة الحادية عشرة :

وكل أم وإن سرَّت بما ولدت يوما ستفقد من ربت من الولد

اخرج ابن أبي الدنيا في الاعتبار عن الكندي قال:كانت امرأة من بني عامر لها تسعة من الأولاد، دخلت بهم ذات يوم غارا، ثم خرجت لحاجة وتركتهم في الغار، ولما رجعت سقط الغار عليهم وانطبق، فجعلت تسمع أنينهم وتتلظى بجحيم عويلهم ما تملك لهم حولا ولا طولا، تئن وتزفر، زفرات قطعت أحشاء ها.

والذي عانا البلايا عرفا ......

حتى فقدت أنينهم فلم تسمع لهم أنينا فعلمت أنهم ما توا جميعا تحت هذا الغار، فرجعت بها من الأسى ما الله به عليم، فكانت تردد وتقول:

ربيتهم تسعة حتى إذا اتسقوا ... أفردت منهم كقرن الأعضب الأحد

وكل أم وإن سرت بما ولدت ... يوما ستفقد من ربت من الولد[1]

(١) ذكر هذه القصة فضيلة الشيخ : علي القرني في محاضرة له بعنوان : تفريج الكربة عند فقد الأحبة.

القصة الثانية عشرة :

هكذا فلتكن الأمهات

ذكر الإشبيلي رحمه الله في كتاب العاقبة: أن امرأة من الأعراب حجت ومعها وحيدها، فمرض عليها في الطريق ومات. فدفنته بمساعدة الركب الذي معها، ثم وقفت بعد دفنه وقالت: والله لقد غذوتك رضيعا، وفقدتك سريعا، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك، فأتمتع فيها بالنظر إلى وجهك، ثم قالت: اللهم منك العدل ومن خلقك الجور، اللهم وهبتني قرة عين، فلم تمتعني به كثيرا، بل سلبته وشيكا، ثم أمرتني بالصبر، ووعدتني عليه الأجر، فصدقت وعدك، ورضيت قضاءك، فلك الحمد في السراء والضراء.(اللهم ارحم غربته، واستر عورته، يوم تكشف العورات، وتظهر السوءات).

رحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى. ثم لما أرادت الانصراف قالت: أي بني لقد تزودت لسفري فياليت شعري ما زادك لسفرك ويوم ميعادك.

اللهم إني أسألك الرضا عنه برضائي عنه.أستودعك بني من استودعني إياك جنينا في الأحشاء، ومن يجازي من صبر في السراء والضراء.انتهى. لله درها يا لها من رحيمة وحكيمة وتقية وما أروع تلك الدرر التي نثرتها على قبر ولدها فلتكن هكذا الأمهات(١) .

---

(١) المصدر السابق.

القصة الثالثة عشرة :

رحمك الله يا هيثم

هلك ابن لإعرابية فقالت: رحمك الله يا هيثم، ما كان مالك لبطنك، ولا أمرك لعرسك - أي امرأتك -.

فقلنا يا أم الهيثم فهل لك منه عوض! قالت: نعم، ثواب الله، ونعم العوض الآخرة من الدنيا.

القصة الرابعة عشرة :

أضياف ودماء

هذه القصة يرويها لنا فضيلة الشيخ على القرني وفقه الله حيث يقول: حدثني من أثق به من الصالحين، كما أحسبه والله حسيبه، أن هناك رجلا كان له ثلاثة أولاد صغار وزوجة، وهم يعيشون في هناء وأمان وسعادة وسكينة واطمئنان، وذات يوم جاءهم أضياف. فقام الأب وذبح لأضيافه كبشا. والأولاد ينظرون. ودخل للجلوس مع أضيافه بانتظار إعداد الطعام. وقامت الأم بتغسيل وتنظيف أصغرهم في وعاء كبير مليء بالماء.أخذ أكبر الأولاد السكين يقلد أباه في ذبح الشاة.وقام على أخيه الأوسط فأضجعه ثم ذبحه ذبح الشياه. وجاء لأمه يخبرها ؛ فصاحت ورمت بالصغير في ذهول في وعاء الماء

فغرق الصغير في وعاء الماء، خرجت إلى الأوسط فإذا هو يتشحط في دمه،وهرب أكبرهم إلى الشارع فاعترضته سيارة فدهسته ذهلت الأم،وثكلت جميع أبنائها.

وجاء الأب فإذا بها تترنح، وتخبره الخبر، ثم تسقط ميتة وجدا على أبنائها الثلاثة.. ولا إله إلا الله

صبت عليها مصائب لو أنها　　صبت على الأيام عدن لياليا

أما الأب فحمد الله عز وجل وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ ودخل على أضيافه وطلب منهم أن يحفروا قبورا وأخبرهم الخبر وياله من خبر ويالها من ضيافة.

حفروا القبور.. وصلوا على الجميع.. ودعوا للميت والحي.

واستعد كل ضيف منهم أن يقدم ابنته زوجة لذلك الأب الصابر المحتسب.

ويختار ابنة واحد منهم ويتزوجها.. فيذكر لي من نقل هذه - القصة - أن له الآن ثلاثة عشر ولدا من هذه الزوجة.

حزن عظيم.. خطب أليم.. فهلا نظرت لمثل هؤلاء المصابين الصابرين، أيها المصاب. وما مصابك مع مثل مصاب هؤلاء.. ستهون عليك مصيبتك ولا شك.. واعلم أن هناك من هو أعظم منهم مصابا.

فإذا علم المصاب علم اليقين أنه لو فتش العالم كله لم ير فيه إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو بحصول مكروه ؛ سري عنه.

فسرور الدنيا أحلام نوم.. إن أضحكت أبكت وإن سرت ساءت، وما ملئت دار حبرة إلا ملئت عبرة، وما حصل لشخص في يوم من سرور إلا

وأعقبه شرور. فلكل فرحة ترحة، وما كان ضحك قط إلا وكان بكاء، فلتعلم ولتتأمل أحوال المكروبين أيها المصاب. فما مصيبتك بينهم إلا ذرة في فضاء المصائب، وقطرة في بحار الكروب.

تأسى أطال الله عمرك بالألى مضوا ولهم ذكر جميل مخلد
فلو لم يكن في الموت خير لمن مضى لما مات خير الأنبياء محمد[(١)]

(١) المصدر السابق "بتصرف يسير".

الباب الرابع

فوائد المصائب والمحن

الباب الرابع
فوائد المصائب والمحن

اعلم رحمنا الله وإياك أن المحن إذا نزلت على القلوب المؤمنة تحولت إلى منح عظيمة وذلك إذا مزجت بالرضا والصبر وهذا شأن العارفين الذين يعرفون أن في كل أمر يصيبهم سواء فرح أو ترح لا بد أن تكون في ثناياه أو خباياه حسنات فيبدؤون يستظهرونها كما يستظهر الذهب من الصخور والمعادن والتراب.

وفيما يلي نذكر بعض فوائد الابتلاء:

قال الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله:

في الابتلاء فوائد سنية، وحكم ربانية، منها: ما ظهر بالاستقراء، وعلم بعض ما فيه من النعماء ومنها ما لم يظهر، لكن ادخر الله به فضلا غزيرا.

قال الله عز وجل: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (سورة النساء:١٩)

وقد روى الإمام أحمد في "الزهد" من مراسيل الحسن: " أن النبي ﷺ قال: "والله لا يعذب الله حبيبه، ولكن قد يبتليه في الدنيا ".

وأقول:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا	عن الله قد فاز الرضي المراقب
وكم نعمة مقرونة ببلية	على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن فوائد الابتلاء: النظر إلى قهر الربوبية، والرجوع إلى ذل العبودية

فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه[(١)] ولا محيد له عن حكمه النافذ

(١) قرئ على قبر مكتوب باليمن بالحميرية ؛ فترجمة إلى العربية : أنا عمرو بن شمر الملك الجرهمي، ملكت فأطلت، وتمنيت فنلت، وقاتلت فغلبت ؛ ثم إن الجديدين تعاوراني بأحداثهما؛ فأفنياني وأفنيا ما كنت فيه من النعمة، وأنا الذي أقول :

نحن كنا الملوك نقضي ... على الناس قضاء يمضي بكل مكان
ولنا كانت الرعاء تبيت قدما ... كالدمى والمنعمات الغواني
والعتاق الجياد والقضب البيض ... وسمر القنا وحور القيان
والقصور المشيدة الشامخات ... الشم ذات الحجاب والأعوان
والنهي والعلى والأخذ والإعطاء ... لدى كل ساعة وأوان
فحكمنا بما أردنا وعاقبنا ... وجدنا بالعفو والإحسان
وأخذنا النهرين دجلة والنيل ... ونهر الفرات من كوفان
ولنا كانت المشاعر والكعبة ... والموقفان والأبطحان
فلبثنا أرباب مكة حتى ... اختطفتنا قوارع الحدثان
فعرينا من ملكنا فكأنا ... لم نكن فيه برهة من زمان
واتخذنا الثرى شعارا ... على الأجساد بعد الحرير والكتان
وتركنا مجالسنا تصفر ... الأرواح فيها للهام والغربان
وهجرنا الأهلين بعد وصال ... ولهينا عن الغواني الحسان
ورضينا من النعم والعطر ... بنتن الصديد والديدان
فتعالى الذي يميت ويحيي ... وهو حي مدبر الأزمان

تنبيه : آمل من القارئ الكريم أن لا يفهم من إيرادي لهذه القصيدة بجواز الكتابة على القبر، والحقيقة أن الكتابة على القبور محرمة، وإنما ذكرت هذه القصيدة لما فيها من العبرة والعظة .... فتأمل.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله السؤال الآتي :

هل يجوز وضع قطعة من الحديد أو (لا فتة) على قبر الميت مكتوب عليها آيات قرآنية بالإضافة إلى اسم الميت وتاريخ وفاته.. ؟

فأجاب رحمه الله : لا يجوز أن يكتب على قبر الميت لا آيات قرآنية ولا غيرها، لا في حديدة ولا في لوح ولا في غيرهما : لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه قال : "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه" رواه الإمام مسلم في صحيحه، زاد الترمذي والنسائي بإسناد صحيح: "وأن يكتب عليه". مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ج/ ٤ ص٣٣٧ الشيخ ابن باز.

وابتلائه، إنا لله ملكه وعبيده، يتصرف فينا كما يشاؤه ويريده، وإنا إليه راجعون في جميع أمورنا، وإليه المصير يجمعنا لنشورنا. ومنها: حصول الإخلاص في الدعاء، وصدق

الإنابة إلى الله تعالى والالتجاء وشدة التضرع لمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام:١٧)

قال بعض السلف: " سنة الله استدعاء عباده لعبادته، بسعة الأرزاق، ودوام المعافاة، ليرجعوا إليه سبحانه بنعمته، فإذا لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون ".

ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب والسيئات، وبلوغ الدرجات العليا في الجنات وأعلا من ذلك كله: حصول رضى الله العظيم، الذي هو أفضل من الجنة ونعيمها المقيم.

ومنها: معرفة قدر العافية لمن غفل عن إحصاء ذلك وعده، لأن الشيء لا يعرف إلا بضده، فيحصل بذلك الشكر الموجب للمزيد من النعم، لأن ما وسع الله بالعافية وأنعم، أكثر وأعظم مما ابتلى وأسقم.

وروي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يقال له: معاذ الكبير، أصابته مصيبة، فجزع منها، وأمر بإحضار النائحات، وكسر الأواني، فسمع حاتم فذهب إلى تعزيته مع تلاميذه، وأمر تلميذا له، فقال إذا جلست فاسألني عن قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾ (سورة العاديات:٦)

فسأله فقال: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانيا وثالثا. فقال: معناه: إن الإنسان لكفور، عداد للمصائب،نساء للمنعم، مثل معاذ هذا، إن الله متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكرا لله عز وجل، فلما أصابته

مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى.

فقال معاذ: بلى إن معاذا لكنود، وداد للمصائب نساء للنعم، فأمر بإخراج النائحات، وتاب من ذلك.

قال الشاعر:

يا أيها الظالم في فعله   والظلم مردود على من ظلم
إلى متى وأنت حتى متى   تشكو المصيبات وتنسى النعم

ومنها: حصول رحمة أهل البلاء الموجبة لرحمة الله، وجزيل العطاء، قال ﷺ: "ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء"(١).

ومنها: الدخول في زمرة المحبوبين، المشرفين بمحبة رب العالمين، فهو سبحانه إذا أحب قوما ابتلاهم.

ومنها: تيقظ المبتلي من غفلته، وطيب نفسه ببره، وإخراج صدقته. يذكر أن الفضل بن سهل ذو الرياستين أصابته علة بخرسان فهنؤوه بالعافية، وتصرفوا في الكلا، فلما فرغوا أقبل على الناس فقال: إن في العلل لنعما ينبغي للعقلاء أن يعرفوها: تمحيص للذنوب، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة وإذكار للنعمة في حال الصحة، واستدعاء للتوبة، وحض على الصدقة، وفي قضاء الله تعالى بعد الخيار.

قال: فنسي الناس ما تكلموا به، وانصرفوا بكلام الفضل.

ومن فوائد الابتلاء: مقت الدنيا لأنكادها وبعث النفس على العمل ليوم معادها، فإنه إذا تفكر في ذهاب أحبابه علم أنهم شربوا بكأس لا بد له

---

(١) انظر صحيح الجامع الصغير حديث رقم (٨٩٦) والسلسلة الصحيحة رقم (٩٢٥).

مـن شـرابه. قـال محمـد بـن حـسن: دخلـت على محمد بن مقاتل، فقلت لـه: عظني. فقال: اعمل، فإن مت لم تعد أبدا. وانظر إلى الذاهبين هل عادوا.

تـــذهب أيامـــنا علـــى لعـــب مـــنا بهـــا والذنـــوب تـــزداد

فـــأين أحبابـــنا وبهجـــتهم بطـــيب أيـــام عيـــشهم بـــادوا

ومن فوائد الابتلاء: منع صاحب البلية من خصال غير مرضية، كالخيلاء والتكـبر، والأشـر والبطـر، والتجبر، فكم من مبتلى بفقد العافية، حصلت لـه تـوبة خالـصة شافية، وكم من مبتلى بنفاد ماله، انقطع إلى الله تعالى ففاز بحسن حالـه، وكـم مـن مـصاب بفقـد الأولاد، صـبر على الحكم النافذ على العباد، فحصلت لـه من الله الصلوات والرحمة والهداية للرشاد.

الباب الخامس

النصائح الثمنية لأهل القلوب الحزينة

- الرضا عن عز وجل.
- الاسترجاع.
- الصبر على المصيبة.
- المسارعة في قضاء دين الميت.
- المسارعة في تجهيزه ودفنه.
- حذار من التفوه والكلام والدعاء على النفس حال المصيبة.
- الدعاء والشفقة للميت خير من البكاء والعويل.
- اجتناب ما أحدثه بعض الجهال من بدع تتعلق بالجنائز.

الباب الخامس

النصائح الثمينة لأهل القلوب الحزينة

اعلم رحمك الله أن المطلوب عند المصيبة هو السكينة والصبر، والرضا بقضاء الله تعالى، والحمد والاسترجاع والدعاء وقول الخير وعند المحن يتباين الناس فيعلم الصابرون الراضون من الساخطين المعترضين ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

فإذا نزلت مصيبة الموت أول ما ينبغي فعله هو:

أولا: الرضا عن الله عز وجل والرضا بقضائه.

قال سفيان الثوري رحمه الله: اشتكى بعض أولاد محمد بن علي بن الحسين فجزع عليه، ثم أخبر بموته فسري عنه، فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره، لم نخالف الله فيما أحب.

ثانيا: الإسترجاع :

أي قول:إنا لله وإنا إليه راجعون لقوله جل وعلا:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة:١٥٥-١٥٧)

قال القرطبي رحمه الله: المصيبة هي كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه. وقد جعل الله عز وجل كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب " إنا لله وإنا إليه راجعون " ملجأ وملاذا لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما

كمن، إذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإن قوله (إنا لله) إقرار بالعبودية والملك واعتراف العبد لله بما أصابه منه، فالملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وقوله: (وإنا إليه راجعون) إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا، فله الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، فيه كذلك رجاء ما عند الله من الثواب) تفسير القرطبي.

وعن أم سلمة رضي الله عنها:قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله:

(إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها) إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرا منها".

قالت: فلما مات أبو سلمة: قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم وغيره.

وعن أبي موسى رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد".[1]

ثالثا: الصبر على المصيبة:

لقوله ﷺ: " إنما الصبر عند أول صدمه " وفي رواية: " عند الصدمة الأولى".

(١) انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٤٠٨).

رواه البخاري ومسلم.

فقال: إنما الصبر عند أول صدمة" وفي رواية: "عند الصدمة الأولى".

رواه البخاري ومسلم.

ومعنى ذلك: أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر. ولكنه إنما يحمد عند حدتها، وفورة شدتها، لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته السنين الطوال.

وأكمل الهدي في ذلك هو هديه ﷺ فقد جاء في الصحيحين وغيرهما أنه ﷺ لما مات ابنه إبراهيم عليه السلام ذرفت عيناه دموع رحمة فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" أخرجه البخاري ومسلم.

وهذا والله من الأدب العظيم والخلق القويم مع الله عز وجل فهنا يعترف بالحزن والدمع ويتبرأ من الاعتراض والتسخط.

رابعا: المسارعة في قضاء دين الميت:

عن سمرة بن جندب: "أن النبي ﷺ صلى على جنازة (وفي رواية: صلى الصبح، فلما انصرف قال: أهاهنا من آل فلان أحد؟ [فسكت القوم، وكان إذا ابتدأهم بشيء سكتوا] فقال ذلك مرارا [ثلاثا لا يجيبه أحد]، [فقال رجل: هو ذا]، قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر الناس [فقال له النبي ﷺ: ما منعك في المرتين الأوليين أن تكون أجبتني؟] أما إني لم أنوه باسمك إلا لخير، إن فلانا - لرجل منهم - مأسور بدينه [عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله]، فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه،

[حتى ما أحد يطلبه بشيء][1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه"[2].

خامسا: المسارعة في تجهيز الميت ودفنه وعدم تأخير ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة، فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك، فشر تضعونه عن رقابكم" متفق عليه.

بل كان بعض السلف يوصي أهله بذلك؛ فهذا علقمة رحمه الله يوصي أهله ويقول: إذا حضرت وفاتي، فأجلسوا عندي من يلقنني: لا إله إلا الله، وأسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تنعوني إلى الناس، فإني أخاف أن يكون ذلك نعيا كنعي الجاهلية[3].

وآخر هو سعيد بن المسيب يؤكد ذلك ويقول: أوصيت أهلي بثلاث: أن لا يتبعني راجز ولا نار، وأن يعجلوا بي فإن يكن لي عند الله خير، فهو خير مما عندكم[4].

وبعض المسلمين اليوم هداهم الله إذا مات لهم ميت وله أقارب في بلد آخر تجدهم يؤخرون دفن ميتهم أياما منتظرين اكتمال وصول الأقارب وهذا خطأ ومخالف لنصوص الشريعة فعليهم أن يتقوا الله وأن يعجلوا بالدفن كما

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وغيرها بسند صحيح – انظر أحكام الجنائز للألباني رحمه الله ص ٢٦.

(٢) رواه الترمذي وأحمد بسند حسن وانظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٨١١).

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠.

(٤) المصدر السابق(٢٤٤).

أمر النبي ﷺ بذلك.

سادسا: حذارِ من التفوه والكلام والدعاء على النفس حال المصيبة:

فإن الملائكة تؤمن عند ذلك ودليله: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: "إن الروح إذا قبض، تبعه البصر" فضج ناس من أهله - أي رفعوا أصواتهم بالبكاء - فقال: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون".

ثم قال ﷺ: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه".رواه مسلم.

وعنهارضي الله عنها أيضا قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون".

قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! إن أبا سلمة قد مات: قال: "قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة". فقلت ذلك، فأعقبني الله من هو خير لي منه ؛ محمدا ﷺ.(١)

وفي رواية قالت: فلما مات أبو سلمة: قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله ﷺ.(٢)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ

---

(١) رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

(٢) قال النووي رحمه الله: رواه مسلم هكذا بالشك، وأبو داو ود والترمذي والنسائي وابن ماجه: "الميت" بلا شك.

إليه تدعوه وتخبره أن صبيا لها، أو ابنا، في الموت. فقال للرسول: "ارجع إليها، فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها، فلتصبر ولتحتسب.. الحديث" متفق عليه

"وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم في حال مصيبته وبكائه بشيء يحبط به أجره ويسخط به ربه، مما يشبه التظلم، فإن الله تعالى عادل لا يجور، وعالم لا يضل ولا يجهل، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصالح، ما يفعل شيئا إلا لحكمه، فإنه سبحانه له ما أعطى وله ما أخذ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء،له الخلق والأمر، فعلى المصاب أن يتكلم بكلام يرضي به ربه، ويكثر به أجره، ويرفع الله به قدره"[1].

قال الله جل وعلا: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (سورة النجم:٢٩-٣٠)

قال بعض السلف: رأيت جمهور الناس ينزعجون لنزول البلاء انزعاجا يزيد على الحد، كأنهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت، وهل ينتظر الصحيح إلا السقم، والكبير إلا الهرم، والموجود سوى العدم.

قال الشاعر:

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة ومـيت ومولـود وبـشر وأحـزان

إن أصل الانزعاج لا ينكر، إذ الطبع مجبول على الأمن من حلول المنايا، وإنما الإفراط فيه والتكلف، كمن يخرق ثيابه ويلطم وجهه ويعترض على القدر، فإن هذا لا يرد فائتا، لكنه يدل على خور الجازع، ويوجب العقوبة

---

(١) تسلية أهل المصائب ص ٤١.

والحرمان. والعياذ بالله.

سابعا: الدعاء والشفقة خير للميت من البكاء والعويل :

وخاصة إن كان هذا الدعاء من الأبناء لما رواه الإمام مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". وقال ﷺ: "إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك "(١).

فإذا مات الإنسان قامت قيامته واحتاج إلى من ينفعه بكلمة طيبة أو صدقة أو دعاء ولكن المشاهد من الكثير خلاف ذلك فكثير ممن أصيبوا بموت أقاربهم أو أحبائهم تجدهم يبكون ويحزنون بل ويضيقون على أنفسهم أمورا

قد وسعها الله عليهم ويحرمونها على أنفسهم زعما منهم أنهم بذلك يعبرون عن مدى حزنهم وحسن وفائهم لميتهم!! ولكن عند التحقق يتبين خلاف ذلك فبكاء وحزن كثير منهم ما هو إلا من أجل حظوظ النفوس ولا حول ولا قوة إلا بالله فتجدهم يبكون تحسرا على فراقه وفقده وطول بعد على حد قول الشاعر:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

ومنهم من يبكيه لأنه قد فقد بموته المعين والمعيل، والبعض يبكيه لأنه قد فقد جليسه وأنيسه، والبعض يبكيه لأنه قد فقد بموته الحبيب والعشير، إلى غير ذلك. فانظر الكل يبكيه من أجل حظوظ النفوس!!.

---

(١) رواه الإمام أحمد وصحح اسناده ابن كثير رحمه الله (انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩).

ويـؤكد هـذا المعني الحافظ ابن رجب رحمه الله حيث يقول: " وإنما يبكون لفقـد حظـوظهم مـنه، فبكاؤهم على أنفسهم لا على ميتهم. ثم قال رحمه الله: احتضر بعض الصالحين فبكاه أبواه وولده، فسألهم عن بكائهم، فذكر أبواه: ما يـتعجلانه مـن فقـده، ووحشتهم من بعده. وذكر ولده: ما يتعجلون من فقده، ويتمهم بعده، فقال: كلكم بكى لدنياي!! أما منكم من يبكي لآخرتي؟

أما منكم من يبكي لما يلقى في التراب وجهي؟

أما منكم من يبكي لما يليه منكر ونكير إياي؟

أما منكم من يبكي لمقامي بين يدي ربي؟

ثم صرخ فمات رحمه الله. انتهى كلام ابن رجب رحمه الله.

أقـول إن فاقـد الـشيء لا يعطـيه فالغالبـية مـن هـؤلاء لم يفكـروا بهذه الأمور التي تنتظر كل إنسان بعد موته.ولذلك لم يبكوا من أجله.

ولكـن هـناك فـئة قليلة لم يخل منهم زمان قد سمت نفوسهم وخلصت نـياتهم ...أفـئدتهم تـشع بالـرحمة والـشفقة ينظرون إلى الأمور بنور الله وعلى علم من الله فهم يبكون كغيرهم ولكن شتان بين بكائهم وبكاء غيرهم.

فبكاؤهم بكاء رحمة وشفقة على هذا المسكين الذي أوسد التراب وحيدا فـريدا وقـد أصـبح رهين عمله. مشفقين عليه و بماذا سيجيب الملكين. وكيف هو مع ظلمة القبر وضغطته.

وأعظـم عـين جـادت بدموع الرحمة هي عيون الحبيب ﷺ فقد بكى عند مـوت أبـنائه وأصحابه وجادت عيونه بالدموع وعندما أشكل هذا البكاء على أصحابه قال لـهم: إنما هي رحمة.

ولم تكـن مـن أجل البعد والفراق وعدم اللقاء مرة ثانية. كلا وربي وهو

المؤمن والمتيقن بأنه لا بد من الاجتماع مرة أخرى معهم في جنة عرضها السموات والأرض.

وهذا مسلم بن سيار رحمه الله يموت له ابن فيبكي عند قبره فيقول: شغلني يا بني الحزن لك عن الحزن عليك.

أما مالك بن دينار رحمه الله: فكان يبكي عند قبر أخيه كثيرا، فقيل له: يا أبا يحيى! كم تبكي؟ فقال: ما أبكي على ما فاته من الدنيا، غير أني أتخوف أن لا ألقاه في الآخرة[١].

وهؤلاء على قلتهم لم يخل منهم زمان فيحكي لنا الإشبيلي رحمه الله في كتاب العاقبة: أن امرأة من الأعراب حجت ومعها وحيدها، فمرض عليها في الطريق ومات. فدفنته بمساعدة الركب الذي معها، ثم وقفت بعد دفنه وقالت: والله لقد غذوتك رضيعا، وفقدتك سريعا، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك، فأتمتع فيها بالنظر إلى وجهك، ثم قالت: اللهم منك العدل ومن خلقك الجور، اللهم وهبتني قرة عين، فلم تمتعني به كثيرا، بل سلبته وشيكا، ثم أمرتني بالصبر، ووعدتني عليه الأجر، فصدقت وعدك، ورضيت قضاءك، فلك الحمد في السراء والضراء.

(اللهم ارحم غربته، واستر عورته، يوم تكشف العورات، وتظهر السوءات).

رحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى. ثم لما أرادت الانصراف قالت: أي بني لقد تزودت لسفري فياليت شعري ما زادك

---

(١) كتاب المجالسة للدينوري ج ٦ ص ٧٥).

لسفرك ويوم ميعادك.

اللهم إني أسألك الرضا عنه برضائي عنه. استودعك بني من استودعني إياك جنينا في الأحشاء، ومن يجازي من صبر في السراء والضراء. انتهى.

لله درها من رحيمة..حكيمة..تقية.. ما أروع تلك الدرر التي نثرتها على قبر ولدها هكذا فلتكن الأمهات.

ثامنا: اجتناب ما أحدثه بعض الجهال من بدع تتعلق بالجنائز ومن ذلك:

١- المغالاة في الكفن.

٢- رفع القبر أو البناء عليه أو إنارته أو الكتابة عليه.

٣- نصب الخيام لاستقبال المعزين.

٤- إحضار المقرئين.

٥- توزيع السجائر.

٦- التعبد بلبس معين حال المصيبة و أثناء العزاء والحداد كلبس الثياب السوداء أو تخصيص ألوان معينة في هذه المناسبة.

٧- الذبح للميت بعد دفنه ذبيحة تسمى الأربعينية وغيرها من البدع التي أحدثها الجهال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم رحمه الله:

وبالجملة فعادتهم - أي السلف - أنهم لم يكونوا يغيرون شيئا من زيهم قبل المصيبة ولا يتركون ما كانوا يعملونه، فهذا كله مناف للصبر والله سبحانه أعلم[١].

---

(١) عدة الصابرين ١٥٩.

الباب السادس
اللقاء في الجنة

الباب السادس

اللقاء في الجنة

اعلم يا من فجعت بفراق الأحبة أن الموت ليس هو إلا جسر يوصل الحبيب إلى حبيبه وينبغي على المؤمن المطمئن بقضاء ربه أن يستفيد من المحن وأن تحدث له وقفة مع نفسه يراجع بها أعماله ويصحح بها طريق سيره، وأن يتوب إلى مولاه.

وعند ذلك فليبشر هذا التائب برضا الله وفرحه بتوبته ولتهنئه سعادة الدارين إن شاء الله..

بل حتى الملا ئكة الأبرار بل صفوتهم ومن تشرف بحمل عرش الرحمن ومن حولهم يدعون الله أن يجمعه وصالح أهله في جنات النعيم.

قال الله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ ﴾ (سورة غافر:٦-٩)

واعلم رحمنا الله وإياك أن حياة المؤمن لا تنتهي عند الموت.. بل الحياة الحقيقة من هناك تبدأ. والحقيقة أن المؤمن منزله الأول هو الجنة ولكن شاء الحكيم العليم أن يخرجه منها بعد ذلك المنزل ثم يكون المآل السرمدي الذي

لا خروج منه ولا موت فيه[(١)].

وعـندئذ يهـنأ بلقـاء أحبـته وذريته في الجنة في خلود دائم لا يعكر صفوه فراق الموت.يهنئوون بها بعد أن خلفوا وراءهم حياة العناء

وأردف لك بشرى أخرى من الله عز وجل وهي قوله:﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (سورة الرعد:٢٠-٢٤)

قـال ابـن كـثير رحمـه الله: أي يجمـع بيـنهم وبين أحبابهم يها من الآباء والأهلـين والأبـناء، ممـن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم

---

(١) فالحمـد لله الـذي لم يجعلـنا وثنيين أو هـندوس أو بـوذيين أولئك الذين تنتهي الحياة في زعمهم عند الموت فـتجدهم عـند ذلـك يحـرقون أجـساد مـوتاهم ؛ ويؤمـنون أيضا بتناسخ الأرواح. !! فما بعد هذا الضلال ضلال، وكم لـهذه العقيدة من الآثار السلبية على أهلها ؛ فعقيدة كهذه تجعل من الإنسان في الحقيقة حيوانا لــه أن يفعـل ويـرتكب مـا يشاء من المحرمات حيث أنه لا يؤمن بالحياة بعد الموت فلا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جنة ؟! فهو يعيش لدنياه فقط - فتجده لا يخاف عاقبة سوء أعماله فله أن يفعل كل شيء يخطر على باله – ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما من منّ الله عليه بنعمة الإسلام فإنه يؤمن ويعتقد أن الموت ما هو إلا نقطة البداية التي تبدأ عندها الحياة الـبرزخية ومـن ثم البعث والنشور ومن ثم الحساب ومن ثم الجزاء. فما أعظم هذا الدين ؛ وما أعظم هذه العقيدة، وكم كان لـها الأثر العظيم على الإنسان المسلم في حياته،

وكـم نهت هذه العقيدة ومنعت أهلها من ارتكاب المحرمات خشية الحساب والعقاب عليها يوم القيامة.فلله الحمد أولا وآخرا على هذا الدين العظيم.

حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتنانا من الله وإحسانا من غير تنقيص للأعلى عن درجته،

كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾.(١)

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: وفي هذه الآية بشرى لمن كان له سلف صالح أو خلف صالح أو زوج صالح ممن تحققت فيهم هذه الصلات أنه إذا صار إلى الجنة لحق بصالح أصوله أو فروعه أو زوجه وما ذكر الله هذا إلا لهذه البشرى.

كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ (سورة الطور:٢١)

والآباء يشمل الأمهات على طريقة التغليب كما قالوا: الأبوين.

وجملة: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ عطف على(يَدْخُلُونَهَا) فهي في موقع الحال.

وهذا من كرامتهم والتنويه بهم، فإن تردد رسل الله عليهم مظهر من مظاهر إكرامه.

وذكر ﴿ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه ملائكة. ذلك أن هذا الدخول لما كان مجلبة مسرة كان كثيرا في الأمكنة. ويفهم منه أن ذلك كثيرا في الأزمنة فهو متكرر لأنهم ما دخلوا من كل باب إلا لأن كل باب مشغول بطائفة منهم،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢/ ص (١٤٩٤).

فكأنه قيل من كل باب في كل آن)[١]

وقال الله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ (سورة الطور:٢١)

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾.[٢]

وقال الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور رحمه الله: نعمة جمع الله بها للمؤمنين أنواع المسرة بسعادتهم بمزاوجة الحور وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم، وذلك أن في طبع الإنسان التأنس بأولاده وحبه اتصالهم به[٣].

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال: "كان نبي الله ﷺ إذا

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٧/ ص ١٣١.

(٢) تفسير ابن كثير ج٤/ ص (٢٦٨٤).

(٣) تفسير التحرير والتنوير ج ١٣ ص ٤٩.

جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل لـه ابن صغير يأتيه من خلف ظهـره، فـيقعده بـين يديـه إلى أن هلك الصبي، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، يذكـر ابـنه ويحـزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: ما لي لا أرى فلانا؟ فقالوا: يا رسـول الله، بنيه الذي رأيت هلك، فمنعه ذلك من حضور الحلقة، فلقيه النبي ﷺ فسأله عنه، فأخبره أنه هلك فعزاه عليه، ثم قال: يا فلان: أيهما كان أحب إليك، أن تمتع به عمرك، أو لا

تأتـي غـدا بابـا مـن أبـواب الجـنة إلا وجدتـه قد سبقك إليه يفتح لك؟ فقـال: يـا نـبي الله، بـل يـسبقني إلى أبـواب الجـنة فيفـتحها لي أحب إلي قال: فـذلك، قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله جعلني الله فداك، هذا لفـلان خاصـة،أو لمـن هلك لـه فرط من المسلمين كان ذلك لـه؟ قال: بل كل من هلك لـه فرط من المسلمين كان ذلك لـه"[(١)]

وكـان أبو ذر رضي الله عنه لا يعيش لـه ولد، فقيل لـه: إنك امرؤ لا يبقى لك ولد؟ فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء[(٢)]

فالمؤمن يستمد قوته من الخلود الذي يوقن به، فحياته ليست هذه الأيام المعدودة في الأماكن المحدودة، إنها حياة الأبد، وإنما ينتقل من دار إلى دار.

ومـا المـوت إلا رحلـة غـير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي[(٣)] قال ابـن رجـب رحمه الله: لما كان للمؤمن داران: دار يرتحل منها، ودار ينتقل إليها ويقيم بها.

---

(١) رواه النسائي وغيره وقال ابن عبد البر في التمهيد : ٦/ ٣٤٩ هذا حديث ثابت صحيح)

(٢) الإيمان والحياة

(٣) (تسلية نفوس النساء عند فقد الأطفال) لأبن رجب ص ٣. بتصرف يسير.

أمره أن ينقل من دار ارتحاله، إلى دار إقامته ؛ ليعمرها من بعض ما أعطاه في دار ارتحاله.

وربما أخذ منه كرها، ما يعمر به دار إقامته، ويكمل له به عمارتها وإصلاحها، ويقدم له إليها ما يحب: من أهل ومال وولد، يسبقونه إليها ليقدم على ما يحب من مال وأهل وولد، وإن كان المؤمن لا يشعر بذلك.

فما فرق إلا ليجمع، ولا أخذ إلا ليرد، ولا سلب إلا ليهب، ولا استرد العواري إلا ليردها تمليكا ثابتا لا استرجاع فيه بعد ذلك!!

قال الحسن رحمه الله: علموا أن ما لهم من أهليهم إلا ما قدموا أمامهم.

ويشهد له حديث: " الرقوب من لم يقدم ولدا "(١).

سبحان من أنعم على عباده بما خولهم من المال والولد، ثم استرجع بعض ذلك منهم كرها.

وعوضهم الصلاة والرحمة والهدى. وذلك أفضل مما أخذ كما قيل:

عطيته إذا أعطى سرورا   وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أجل قدرا   وأحمد في عواقبها مآبا

أرحمته التي جاءت بكره   أم الأخرى التي جلبت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بضر   أجل لفقد من صبر احتسابا

والأمر كما قاله النبي ﷺ: " إن المرد إلى الله إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن "(٢).

واللقاء إن شاء الله.. في الجنة. مع الأحبة.. مع محمد وصحبه.

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم

(٢) صحيح الجامع الصغير (١٩٤٦).

الباب السابع

الإحداد

- الحكمة من الإحداد
- أقسام الإحداد
- حكم الإحداد
- شروط الإحداد
- مدة الإحداد
- متى تبدأ عدة الحاد
- عقوبة غير الملتزمة بالإحداد
- أخطاء ومخالفات الإحداد
- بعض الأخطاء عند خروج المرأة من العدة
- كلمة أخيرة
- فتاوى الإحداد

الباب السابع

الإحداد

رأيت إكمالا لهذه الرسالة أن أجعل فيها فصلا يتعلق بالإحداد وذكرت فيه بعض الفتاوى والمخالفات، لأني رأيت أكثر من يكتب في الصبر والتسلية لا يذكرون المسائل الخاصة بالإحداد علما أن كثيرا من الناس يجهل أحكامه بل والأدهى من ذلك أنهم أحدثوا فيه أمورا لم ينزل الله بها من سلطان. نسأل الله الهداية للجميع.

الإحداد لغة:

الامتناع من الحد، وهو الحاجز الفاصل بين شيئين يمنع تداخلهما. وسميت الحادة محدة لأنها تمنع نفسها من تطيب وتزين.

اصطلاحا:

اجتناب المرأة المعتدة (المتوفى عنها زوجها) ما يدعو إلى جماعها،أو يرغب في النظر إليها ويحسنها من زينة وطيب. ونحو ذلك.

والاعتداد: هو تربص المرأة مدة محدودة شرعا لفراق زوجها بوفاة أو طلاق أو فسخ.

الحكمة من الإحداد:

أولا:

التعبد لله تعالى بامتثال أمره وأمر رسوله ﷺ. فالمسلم إذا علم أمر الله ورسوله ﷺ ينبغي له المسارعة بامتثاله سواء عرف الحكمة أو لم يعرفها،

وكذلك اجتناب المنهيات.

ثانيا:

شـرع هـذا الإحداد وأوجب على النساء بعد وفاة أزواجهن لحكم منها: عـرفان الجمـيل، وطلـبا لـبراءة الـرحم، وتقديرا لحق الزوج وكرامته وأهميته، وإظهـارا للأسـف علـى فـراق الـزوج، لأن فراق الزوج الحبيب ليس بالشيء الهـين في لحظـة أو أيـام يـزول ويـذهب، بل لـه في القلب حرقة وحسرة وندم وأسف، وجبرا لخاطر أبنائها وأهل زوجها.

وهـذا أكـبر دلـيل على ما للرجال من حقوق نحو نسائهم كما قال النبي ﷺ: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها". (١)

أقسام الإحداد:

شرع الله الإحداد وجعله على قسمين:

القسم الأول: الإحداد على غير الزوج

حكمه:

جائز لمن أرادت فعله، ومن لم ترد فلا شيء عليها. (٢)

مدته:

ثلاثـة أيـام فقـط، ولا يجـوز لـهـا الـزيادة علـى الـثلاثة أيام مهما كانت الحالـة.لمـا رواه البخاري في صحيحه عن ابن سيرين قال: توفي ابن لأم عطية،

---

(١) حديث صحيح، انظر صحيح الترغيب (ج ٢ / ١٩٤٠).

(٢) وللـزوج مـنع زوجـته مـن الإحداد على الأقرباء، لأن الزينة من حقه، وحقه مقدم لأنه واجب، والإحداد مـباح. بـل إذا لم تحـد علـى غير زوجها إرضاء للزوج وقضاء لوطره منها فهو أفضل لـها، ويرجى لـها من وراء ذلك خير كثير، كما وقع لأم سليم وزوجها أبو طلحة.

فلما كان في اليوم الثالث دعت بطيب فيه صفرة فتمسحت به، وقالت: نهينا أن نحد أكثر من ثلاثة أيام إلا على الزوج.

وعن زينب بنت أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: لما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة - رضي الله عنها - بطيب فيه صفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيها وذراعيها، وقالت: إني عن هذا لغنية لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: "لا يحل لامرأة أن تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا، ثم دخلت على زينب بنت جحش - رضي الله عنها - حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت: ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: "لا يحل لامرأة.." الحديث. (متفق عليه)

ومما سبق يتبين أنه لا يجوز الإحداد على غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام وأنه محرم كما جاء على لسان النبي ﷺ.

الحكمة من إباحة هذا النوع من الإحداد:

إنه لما كانت مصيبة الموت لا بد أن تحدث للمصاب من الجزع والألم والحزن ما تقتضيه الطباع، سمح لها الحكيم الخبير في اليسير من ذلك، وهو ثلاثة أيام تجد بها نوع راحة وتقضي بها وطرا من الحزن، وما زاد على ذلك فمفسدة راجحة فمنع

والمقصود أنه أباح لهن الإحداد على موتاهن ثلاثة أيام وأما الإحداد على الزوج فإنه تابع للعدة بالشهور[1].

---

(١) انظر – مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٤ / ص ١٠.

ومن الحكمة أيضا ما ذكره فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله حيث قال: لإعطاء النفوس بعض الشيء مما يهون عليها المصيبة ؛ لأن الإنسان إذا أصيب ثم كبت، بأن قيل: اخرج وكن على ما كنت عليه، فإنه ربما تبقى المصيبة في قلبه، ولهذا يقال: إن من جملة الأدب والتربية بالنسبة للصبيان، أنه إذا أراد أن يبكي أن يترك يبكي مدة قصيرة من أجل أن يرتاح ؛ لأنه يخرج ما في قلبه، لكن لو أسكته صار عنده كبت وانقباض نفسي[1].

القسم الثاني: الإحداد على الزوج

حكمه:

واجب على كل زوجة مدخول بها أو غير مدخول سواء كانت صغيرة مميزة أو لم تكن مميزة و مثلها المجنونة وفي هذه الحال يجب على وليها أن يلزمها بالإحداد، ويمنعها مما تمنع منه الكبيرة والعاقلة وإلا أثم الولي بها ويجب أيضا على المطلقة طلاقا رجعيا إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق، وتنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة، فيكون ابتداء عدتها من حين وفاة زوجها، ولا نعتد بالزمن الذي مضى قبل وفاته. والإحداد متعلق بعدة المتوفى عنها زوجها.

ودليل الوجوب:

هو قول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (سورة البقرة:٢٣٤)

---

(١) (الشرح الممتع ٥/ ٤٩٢)

ومن السنة قوله ﷺ: "لا تحد امرأة على الميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا". متفق عليه.

شروطه:

يجب الإحداد بشروط وهي:

١- أن يكون الإحداد في عدة الوفاة حقيقة أو حكما، كالمفقود والمحكوم بوفاته.
٢- أن تكون المحدة زوجة للمتوفى، فلا يجوز بعد فواتها - أي عدة الوفاة - ولو لم تعلم إلا بعد ذلك، فلا عدة ولا إحداد.
٣- أن يكون النكاح صحيحا.

فإذا توفرت هذه الشروط وجب الإحداد بإجماع أهل العلم.

مدته:

مدة الإحداد: أربعة أشهر وعشرة أيام لكل امرأة وجب عليها الإحداد ممن تقدم ذكرهن غير حامل، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾.

أي: أربعة أشهر وعشر ليال بأيامها، فلا تحل حتى تدخل الليلة الحادية عشر فاليوم العاشر هو من العدة لأن الأيام مع الليالي.

ولقوله ﷺ: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على الزوج أربعة أشهر وعشرا". متفق عليه.

وهذا يدل على يسر الشريعة وسماحتها، حيث خففت آصار الجاهلية

وأثقالها، ومن ذلك ماكانت تعانيه المرأة بعد وفاة زوجها من ضيق وحرج ومحنة وشدة طيلة عام[١] فخفف الله تعالى هذه المدة بتقصيرها إلى نحو ثلثها، وبإبطال هذا الحرج الذي ينال هذه المرأة المسكينة،

فأباح لها النظافة في جسمها وثوبها ومسكنها، وأباح لها مخالطة أقاربها ونسائها في بيتها،وحفظ للزوج حقه باجتنابها ما يشهرها من زينة،ويرغب بها في مدة هي من حقوقه، والله حكيم عليم[٢].

والحكمة في تحديد المدة بأربعة أشهر وعشرا أنها المدة التي يتكامل فيها تخليق الجنين وتنفخ فيه الروح إن كانت حاملا، وإلا فقد برئ رحمها براءة واضحة لا ريب فيها[٣]

أما عدة الحامل فهي أن تضع حملها قل أم كثر،سواء كان يوما أم شهرا، أم أشهرا، وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (سورة الطلاق:٤)

وهذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾.

---

(١) كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي زوجها دخلت حفشا ـ بكسر الحاء وسكون الفاء ـ وهو بيت رديء ولبست شر ثيابها ولم تمسس طيبا ولا شيئا حتى يمر بها سنة ثم تأتي بدابة شاة أو طائرا فتفتض أي تمسح جلدها به وتخرج وهي في شر منظر فتعطى بعرة فترمي بها من وراء ظهرها ثم تسرع إلى بيت أهلها وتراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب وغيره وتحل للخاطب.

قالوا : وفي البعرة رمز إلى أن ما فعلته في مدة الحول التي مضت أمر هين بالنسبة إلى عظم مصابها بزوجها كأنه بعرة.

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ٢/ ٣٥٧.

(٣) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ٢/ ٣٥٢.

ولحديث سبيعة الأسلمية: أنها نفست بعد موت زوجها بليال، فجاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح، فأذن لها فنكحت. وفي لفظ: أنها وضعت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة. وفي لفظ لمسلم قال الزهري: "ولا أرى بأسا أن تزوج وهي في دمها، غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر".

ولأن المقصود بالعدة براءة الرحم وعدم اختلاط المياه، وهو بالوضع قد برئ من كل ما يشغله، وكان لها التزويج بعد وضع الحمل، ولو كان زوجها الميت على السرير، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فيما رواه مالك في الموطأ: "لو وضعت ما في بطنها وهو على سريره لم يدفن بعد لحلت".

غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر، فيصح عقد النكاح عليها بخلاف الوطء فلا يجوز حتى تطهر من نفاسها.

فائدة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وإذا ألقت سقطا انقضت به العدة وسقطت به النفقة، وسواء كان قد نفخ فيه الروح أم لا، إذا كان قد تبين فيه خلق الإنسان فإن لم يتبين ففيه نزاع[١].

متى تبدأ عدة الحادة؟

تبدأ عدة الحادة من حين وفاة زوجها.لا من حين دفنه أو بلوغها وفاته وإذا لم يصلها خبر وفاة زوجها إلا بعد مضي شهر مثلا، فيجب عليها الإحداد من حين تعلم وتكمل الأربعة أشهر وعشرة أيام من حين وفاته لا من حين دفنه أو علمها وحدادها، فتكون قد حدت ثلاثة أشهر وعشرا، ولا تقضي ما

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/ ٩٨).

فاتها سواء كان ما فات بعذر أو بغير عذر، إلا أنها إذا كانت بلا عذر فإنها تأثم، وبعذر فلا إثم عليها.

عقوبة غير الملتزمة بالإحداد:

المحدة المكلفة لو تركت الإحداد الواجب كل المدة أو بعضها، فإن كان ذلك عن جهل فلا حرج، وإن كان عمدا فقد أثمت متى علمت حرمة ذلك، لكنها لا تعيد الإحداد لأن وقته مضى، ولا يجوز عمل شيء في غير موضعه وفي غير وقته، وانقضت العدة مع العصيان.

واعلم أنه لم يرد في الشرع عقوبة محددة لمن تركت الإحداد، ولكنها تعتبر عاصية، وعليها التوبة والندم والاستغفار على تفريطها في طاعة الله وتساهلها بحدوده، وارتكاب الإثم بترك الإحداد، وعليها أن تندم ندما شديدا على تفريطها بأمر الله وأمر رسول الله ﷺ.

هذا ومن المعلوم أن الإمام من حقه أن يعزر المرأة المكلفة على ترك الإحداد إذا تعمدت ذلك بما يراه من وسائل التعزير.

وإذا أمر المطلق أو الزوج قبل الموت الزوجة بترك الإحداد فلا تتركه، لأنه حق الشرع فلا يملك العبد إسقاطه، لأن هذه الأشياء من دواعي الرغبة، وهي ممنوعة عن النكاح فتجتنبها لئلا يصير ذريعة إلى الوقوع في المحرم.

فائدة:

وإذا شكت في وقت وفاته فإنها تعتد من الوقت الذي تستيقن فيه بموته، لأن العدة يؤخذ فيها بالاحتياط، والاحتياط هو الأخذ باليقين وفي الوقت المشكوك فيه لا يقين، فلهذا لا تعتد إلا من الوقت المتيقن.

أخطاء ومخالفات الإحداد:

ينبغي للمرأة الحادة أن تستشعر أنها تقوم بالإحداد طاعة لله تعالى وامتثالا لأمره وأمر رسوله ﷺ، وبهذا تحصل على ثواب الإحداد - لا أنه عادة جرت عليها نساء بلدها، فتراعي كلام الناس وعوائدهم، وإن خالفت الشرع، بل عليها أن تفعل ما جاء به الشرع وتترك عوائد الناس خاصة ما خالف الشرع منها، فما خالف الشرع وجب تركه، وإن درج عليه الناس، لأن الحق أحق أن يتبع.

وسبب المخالفات والبدع المنتشرة عند كثير من المسلمين هو الجهل والبعد عن الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله. وفيما يلي ذكر لبعض المخالفات والبدع التي تقع في الإحداد نبينها حتى نكون على حذر منها وكما قال الرسول ﷺ: "ومن يتق الشر يوقه"(١).

وقال الشاعر الحكيم:

عرفت الشر لا للشر ... ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

وفيما يلي ذكر بعض هذه الأخطاء والمخالفات:

١- تساهل بعض النساء في عدة الوفاة، فمنهن من تؤخرها عن وقتها متعذرة ببعض أشغالها، ومنهن من يفرطن فيما يجب عليهن في العدة في أوقات متفرقة، وهذا كله غير جائز.

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة رقم ٣٤٣.

٢- بعض النساء في وقت الإحداد تلزم لبس الأسود أو الأخضر من الثياب بحجة أنه مظهر للحزن والتأثر أكثر من غيره، وهذا من الجهل، ويخشى أن يكون من عادات اليهود والنصارى. وعلى كل حال فتخصيص لباس الإحداد بلون معين أمر محدث، بل بلغ ببعضهن ألا تلبس إلا أسود، ولا تجلس إلا على أسود. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- الزيادة على الأربع الأشهر وعشر لغير حامل، وهذا غير جائز، ولو قالت: إن الزيادة لا تشق عليها، أو أن الزوج يستحق أكثر من هذا، فهذا كله مجانبة للصواب، فالله هو الذي حددها فلا يجوز الزيادة على ما حدده الله وشرعه. وكذا الإحداد على غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام للأحاديث المحددة لذلك.

٤- وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم، وهو أن الميت إذا مات حزنوا عليه سنة كاملة لا تختضب النساء ولا يلبسن الثياب الحسان. فحرام عليهن هذا، وحرام على المرأة ما تفعله من أعمال الجاهلية من تسويد الملابس، واتخاذها مكانا معينا من البيت تقعد فيه، فتصير كتمثال مجسم من الآلام والأحزان.

٥- بعض الفتيات إذا مات زوجها وهي في سن الشباب وتائقة إلى النكاح، فتمتنع منه وتقضي بقية حياتها أرملة، وليس لها أيتام تقوم على تربيتهم، ولا مال في يدها فتأكل منه وتستغني به عن النفقات الزوجية، وإنما ذلك الكبر وحمية الجاهلية. وما عليها لو تتزوج فتحصن فرجها وتطلب رزقها وتلتمس الولد!.

٦- تحكم أهل الرجل في امرأته إذا مات عنها، وإجبارها أن تكون تحت أخيه أو أحد أقاربه، وهذا لا يحل فإنها حرة ولها الاختيار، وليست بمال موروث وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ ﴾ (سورة النساء:١٩)

٧- ومن الأخطاء عدم مصافحتها لمحارمها، كأخيها وعمها وزوج ابنتها، والبعض منهن يمنع الحادة مصافحة كل النساء حتى القريبات والجارات بحجة أن أكثر أيدي النساء توجد فيها خواتم ذهب والذهب لا يجوز للمحادة لمسه

٨- ومن الأخطاء اعتقاد أن الحادة لا تكلم أحدا مطلقا من الرجال حتى أقاربها من غير المحارم كابن العم وأخي الزوج ونحوهما، ولو لتعزية ولو من خلال هاتف. ويعللون ذلك بعدم جواز سماع صوت الحادة من قبل الرجال إلا المحارم فقط.

٩- ومن الأخطاء: اعتقاد الحادة أنه لا بد من التزام ثوب بعينه، ويكون مصنوعا خصيصا للإحداد بألوان معينة فقط كأسود أو أزرق أو أخضر، ولا يجوز غيره من الملابس العادية - وهذا كله من البدع -.

١٠- ومن الأخطاء: عدم اغتسال الحادة إلا مرة واحدة في الأسبوع فقط، وبعضهن يقلن لا تغتسل إلا الجمعة والاثنين فقط، ولا تستعمل الشامبو ولا الصابون ولو كان غير معطر، ولا تمشط شعرها ولا تغسله بسدر، واعتقاد أنه لا بد من التطيب بالبخور

(المستكة) وأن يكون يومي الاثنين والجمعة فقط. وبعضهن لا يستقبلن النساء إلا الخميس والجمعة فقط.

١١- ومن الأخطاء: أنها لا تخرج من بيتها حتى للحاجة والضرورة كالمستشفى عند الحاجة الملحة للخروج، وبعضهن يقلن: إذا سمح للحادة بالخروج ففي أوقات محددة، وهي عند طلوع الشمس وعند غروبها فقط.

١٢- ومن الاعتقادات الفاسدة: عدم جواز أكل الحلبة، ولا مس الملح، ولا النظر في المرآة، ولا رؤية القمر، وإذا لم تخرج من بيتها بعد أسبوع لحاجة فلا تخرج بعدها، ولا تمشي في بيتها حافية ولا تعزي المرأة الحامل الحادة وإن عزت سقط جنينها. وعدم كنسها لمنزلها، واعتقاد أنه لا تنتهي عدة الإحداد للحامل إلا إذا وضعت مولودا ذكرا، بخلاف الأنثى فلا تنقضي

وفي ذلك يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

ما يظن بعض العامة ويفترونه من كونها لا تكلم أحدا، ومن كونها لا تتكلم بالهاتف، ومن كونها لا تغتسل في الأسبوع إلا مرة، ومن كونها لا تمشي في بيتها حافية، ومن كونها لا تخرج في نور القمر، وما أشبه هذه الخرافات فلا أصل لها، بل لها أن تمشي في بيتها حافية ومنتعلة، وتقضي حاجتها في البيت، وتطبخ طعامها وطعام ضيوفها، وتمشي في ضوء القمر في السطح، وفي حديقة البيت، تغتسل متى شاءت، تكلم من شاءت كلاما ليس فيه ريبة. تصافح النساء وكذلك محارمها،أما غير المحارم فلا، ولها طرح خمارها من رأسها إذا لم يكن عندها غير محرم، ولا تستعمل الحناء والزعفران ولا الطيب

في الثياب والقهوة، لأن الزعفران نوع من أنواع الطيب، ولا يجوز أن تخطب ولكن لا بأس بالتعريض، أما التصريح بالخطبة فلا، وبالله التوفيق(١).

وقال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله:

أما ما يذكره بعض العامة من كونها لا تكلم أحدا، ولا يشاهدها أحد، ولا تخرج إلى حوش البيت، ولا تخرج إلى السطح، ولا تقابل القمر، ولا تغتسل يوم الجمعة، ولا تؤخر الصلاة عن وقت الأذان بل تبادر من حين الأذان ؛ فكل هذه الأشياء ليس لها أصل في الشريعة. فالمرأة الحادة في مكالمة الرجال كغير الحادة، وكذلك في نظرها إلى الرجال ونظر الرجال إليها كغير الحادة يجب عليها أن تستر الوجه وما يكون سببا للفتنة،

ويجوز لها أن تخاطب الرجل ولو من غير محارمها إذا لم يكن هناك فتنة، ويمكنها أن ترد على الهاتف وعلى باب البيت إذا قرع وما أشبه ذلك(٢).

وقال فضيلته أيضا: وكذلك أيضا لا يلزمها بل لا يشرع لها إذا انتهت من العدة أن تخرج معها بشيء تتصدق به على أول من يلاقيها، فإن هذا من البدع.

وقال أيضا: وقد قال بعض العوام: إن المرأة الحادة لا يجوز لها أن تشاهد القمر، لأن القمر عندهم وجه إنسان وإذا خرجت إلى السطح وهي تشاهد القمر معناه أن هذا الإنسان تفرج عليها، وهذا كله من الخرافات، فلها

---

(١) "فتاوى المرأة" سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز واللجنة الدائمة للإفتاء، جمع وترتيب محمد المسند، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) (فتاوى إسلامية) جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند، ٣ / ٣١٤. (سبعون سؤالا في أحكام الجنائز) ص ٣٩.

أن تبقى في بيتها وتذهب إلى فوق وإلى تحت كما تريد[1].

١٣- ومن المخالفات أيضا:اغتسال بعض النساء المحادات إذا رآها رجل أجنبي عنها وهذا الغسل ليس عليه دليل.

١٤- انعزال الحادة بحيث لا يراها أحد، وإذا زارها أحد زادت في العدة والإحداد يوما مقابل ذلك اليوم الذي رئيت فيه كفارة لذلك أو قضاء له.

١٥- اعتقاد بعضهم أن الحادة لا تقطع اللحم الأحمر.

١٦- اعتقاد بعضهم أن المتوفى إذا كان له زوجتان فإن العدة تقسم بينهما.

١٧- اعتقاد بعضهم أن المتوفى إذا كان له زوجتان إحداهما حامل وولدت ذكرا فإن هذا ينهي عدة الزوجة الثانية.

بعض الأخطاء عند خروج المرأة من االعدة:

١- عمل حفل للمرأة بعد خروجها من الإحداد وولائم وفواكه وخضار، وتوزيعها على أهل الحي عند خروجها.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله: أما عمل حفل بعد خروج المرأة من العدة فهو بدعة... إلى أن قال: ولم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، رضي الله عنهم، ولا عن السلف الصالح إقامة حفل للميت مطلقا لا عند وفاته ولا بعد أسبوع أو أربعين يوما أو سنة من وفاته، بل ذلك بدعة وعادة

(١) فتاوى المرأة المسلمة) اعتنى بها ورتبها أشرف عبد المقصود ج٢ / ص٧,٨.

قبيحة، فيجب البعد عن مثل هذه الأشياء وإنكارها والتوبة إلى الله منها وتجنبها[١].

٢- قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: لا يلزمها - أي الحادة - إذا انتهت من العدة أن تخرج معها بشيء تتصدق به على أول من يلاقيها، فإن هذا من البدع[٢]. وكل هذه البدع والمخالفات سبب انتشارها كما أسلفت هو الجهل والبعد عن الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كلمة أخيرة:

ينبغي للمرأة الحادة أن تستعين بالله وتقوم بالحداد الشرعي الواجب عليها محتسبة أجرها في ذلك عند الله عز وجل وأن تحدث لها هذه المصيبة من أمرها خيرا وأن تقربها إلى الله أكثر مما كانت عليه من قبل ؛ وما أسرع لقاء الأحياء بالأموات.

نسأل الله أن يجمعنا ومن نحب مع نبيه محمد ﷺ في جنات النعيم.

---

(١) (مجلة البحوث عدد ١٤ص ١٠).

(٢) (فتاوى المرأة المسلمة) جمع أشرف عبد المقصود ج ٢ ص ٧,٨.

فتاوى الإحداد

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال التالي:

س١- ما هي الأحكام التي يجب أن تلتزم بها من مات عنها زوجها؟

الجواب: جاء في الأحاديث ما ينبغي أن تمتنع عنه وهي مطالبة بأمور خمسة:

الأمر الأول:

لزوم بيتها الذي مات زوجها وهي ساكنة فيه، تقيم فيه حتى تنتهي العدة، وهي أربعة أشهر وعشرا إلا أن تكون حبلى، فإنها تخرج من العدة بوضع الحمل كما قال تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (سورة الطلاق:٤) ولا تخرج منه إلا لحاجة أو ضرورة، كمراجعة المستشفى عند المرض وشراء حاجتها من السوق كطعام ونحو ذلك، إذا لم يكن لديها من يقوم بذلك، وكذلك لو انهدم البيت فإنها تخرج منه إلى غيره، أو إن لم يكن لديها من يؤنسها وتخشى على نفسها لا بأس بذلك عند الحاجة.

الأمر الثاني:

ليس لها لبس الجميل من الثياب، لا أصفر ولا أخضر ولا غيره، بل تلبس من الثياب غير الجميل.سواء كان أسود أو أخضر أو غير ذلك، المهم أن تكون الثياب غير جميلة، هكذا أمر النبي ﷺ.

الأمر الثالث:

تجنب الحلي من الذهب والفضة والماس واللؤلؤ وما أشبه ذلك، سواء كان ذلك قلائد أو أساور أو أو خواتم، وما أشبه ذلك حتى تنتهي العدة.

الأمر الرابع:

تجنب الطيب فلا تتطيب لا بالبخور ولا بغيره من الأطياب، إلا إذا طهرت من الحيض خاصة، فلا بأس أن تتبخر ببعض البخور.

الأمر الخامس:

تجنب الكحل فليس لها أن تكتحل، ولا ما يكون في معنى الكحل من التجميل للوجه. التجميل الخاص الذي قد يفتن الناس بها. أما التجميل العادي بالماء والصابون فلا بأس بذلك. لكن الكحل الذي يجمل العينين وما أشبه الكحل من الأشياء التي تفعلها بعض النساء في الوجه فهذا لا تفعله.

فهذه الأمور الخمسة يجب أن تحفظ في أمر من مات عنها زوجها.

أما ما قد يظنه بعض العامة ويفترونه من كونها لا تكلم أحدا، ومن كونها لا تتكلم بالهاتف، ومن كونها لا تغتسل في الأسبوع إلا مرة، ومن كونها لا تمشي في بيتها حافية،، ومن كونها لا تخرج في نور القمر، وما أشبه هذه الخرافات فلا أصل لها، بل لها أن تمشي في بيتها حافية ومنتعلة، وتقضي حاجتها في البيت تطبخ طعامها وطعام ضيوفها، تمشي في ضوء القمر في السطح وفي حديقة البيت، تغتسل متى شاءت، تكلم من شاءت كلاما ليس فيه ريبة، تصافح النساء وكذلك محارمها أما غير المحارم فلا، ولها طرح خمارها عن رأسها إذا لم يكن عندها غير محرم. ولا تستعمل الحناء والزعفران ولا الطيب لا في الثياب ولا في القهوة، لأن الزعفران نوع من أنواع الطيب، ولا يجوز أن تخطب، ولكن لا بأس بالتعريض أما التصريح بالخطبة فلا، وبالله التوفيق[1].

---

(١) (فتاوى المرأة) سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، واللجنة الدائمة للإفتاء. جمع وترتيب محمد المسند ص ٦٨ و ٦٩. و(فتاوى إسلامية) ج٣/ ٣١٥-٣١٦.

س٢- هل على العجوز التي لا حاجة لها إلى الرجال والصبية التي لم تبلغ سن الحلم عدة الوفاة من وفاة زوجها؟

الجواب: نعم، على العجوز التي لا حاجة لها إلى الرجال عدة الوفاة، وكذلك الصغيرة في السن التي لم تبلغ الحلم ولم تقارب ذلك عليها عدة الوفاة إذا مات زوجها حتى تضع حملها إن كانت حاملا. أو تمكث أربعة أشهرا وعشرا إن لم تكن حاملا لعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجًا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرًا ﴾ الآية.

وعموم قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ ﴾[١]

س٣- هل يجوز للحاد أن تخرج إلى السوق لقضاء حاجتها؟

الجواب: يجوز للحادة أن تخرج إلى السوق لقضاء حاجتها وإلى المستشفى للعلاج، وهكذا يجوز لها الخروج للتدريس وطلب العلم، لأن ذلك من أهم الحاجات مع تجنب الزينة والطيب والحلي من الذهب والفضة والماس ونحو ذلك... الخ[٢]

س٤- ورد إلى اللجنة الدائمة للإفتاء سؤال مضمونه: أن أخا السائل عقد على امرأة، وتوفي قبل الدخول بها،فهل عليها حداد؟

الجواب: المرأة التي توفي عنها زوجها بعد العقد وقبل الدخول تلزمها

---

(١) (انظر "فتاوى المرأة" سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –. واللجنة الدائمة للإفتاء. جمع وترتيب محمد المسند ص (٧٠ ـ ٧١).

(٢) فتاوى إسلامية جمع المسند ج٣ / ص ٣١٩.

العدة والإحداد، لأنها بمجرد العقد تكون زوجة مشمولة بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾. ولما روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى - أن رسول الله ﷺ قال: " لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا). ولما روى الإمام أحمد وأهل السنن " أن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق - امرأة عقد عليها زوجها ومات قبل الدخول بها - بأن عليها العدة ولها الميراث "[1].

س٥- أبلغ من العمر ٤. سنة متزوجة، ولي ٥ أطفال، ولقد توفي زوجي في ١٢ / ٥ / ١٩٨٥ م ولكنني لم أقم عليه العدة بسبب بعد الأعمال التي تخص زوجي وأطفالي، ولكن بعد مرور أربعة أشهر أقمت عليه العدة، أي: بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٨٥. وبعد أن أكملت شهرا منها حدث لي حادث اضطررت إلى الخروج، فهل هذا الشهر محسوب ضمن العدة،وهل إقامتي العدة بهذا التاريخ، أي: بعد الوفاة بأربعة أشهر،صحيحة أم لا..؟

علما بأنني أخرج داخل إطار الدار لأقضي بعض الأعمال، لأنني ليس لدي شخص أعتمد عليه في أعمال البيت؟

الجواب: إن هذا العمل منك عمل محرم لأن الواجب على المرأة أن تبدأ بالعدة والإحداد من حين علمها بوفاة زوجها، ولا يحل لها أن تتأخر عن ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (سورة البقرة:٢٣٤)

وانتظارك إلى أن تمت الأربعة أشهر، ثم شرعت في العدة إثم ومعصية

---

(١) فتاوى أسلامية جمع محمد المسند ج ٣ / ص ٣,٧)

لله عـز وجـل، ولا يحـسب لـك من العدة إلا عشرة أيام فقط ، وما زاد عليها فإنك لست في عدة، وعليك أن تتوبي إلى الله عز وجل،وأن تكثري من العمل الصالح لعل الله يغفر لك، والعدة بعد انتهاء وقتها لا تقضى[١]

س ٦ - هـل يلـزم المـرأة المعتدة المتوفى عنها زوجها أن تلبس أسود؟ أم يجـوز أي لـون حـيث نسمع أن المرأة التي في الحداد، وخاصة العاميات، تلبس أسـود وتجلس على أسود وتصلي على أسود، وهناك اعتقادات لديهن ما أنزل الله بهـا مـن سلطان، نأمل توضيح ما يجب على المرأة المتوفى عنها زوجها من لباس وغيره؟

الجواب: المتوفى عنها زوجها يلزمها الاحداد مدة العدة، ومدة العدة محددة بالزمن ومحددة بالحال، فإن كانت المتوفى عنها زوجها حائضا ليس فيها حمل فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام منذ مات، سواء علمت بوفاته حين وفاته أو لم تعلم إلا بعد، فابتداء المدة من حين الموت، فلو قدر أنه مات ولم تعلم بموته إلا بعد مضي شهرين فإنه لم يبق عليها من العدة والإحداد إلا شهران وعشرة أيام، فالحائض عدتها مؤقته بزمن أو محددة بزمن، وهو أربعة أشهر وعشرة أيام من موته، وأما الحامل فعدتها إلى أن تضع الحمل، سواء طالت المدة أم قصرت، ربما تكون العدة ساعة أو ساعتين أو أقل، وربما تكون سنة أو سنتين أو أكثر لقوله تعالى في الأولى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ولقوله تعالى في الثانية: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ وقد ثبت في الصحيحين أن سبيعة الأسلمية - رضي

(١) فتاوى إسلامية جمع محمد المسند ج ٣ ص ٣١٢.

الله عنها - وضعت بعد موت زوجها بليال فأذن لها الرسول ﷺ أن تتزوج، وفي عدة الموت يجب على المرأة أن تحد والإحداد يتضمن أمورا:

الأول: ألا تخرج من البيت إلا لحاجة.

الثاني: ألا تتجمل بالثياب، فلا تلبس ثيابا تعد ثياب زينة، ولها أن تلبس مما تشاء من سواها، فلها أن تلبس الأسود والأحمر والأخضر وغير ذلك مما يجوز لبسه غير متقيدة بلون الأسود.

الثالث: أ لا تتجمل بالحلي بجميع أنواعه، سواء كان أسورة أم قلائد أم خلاخيل أم غير ذلك، يجب عليها أن تزيل الحلي، فإن لم تتمكن من إزالته إلا بقصه وجب عليها قصه.

الرابع: ألا تتزين بتجميل عين أو خد أو شفه، فإنه لا يجوز لها أن تكتحل ولا أن تضع محمر الشفاه.

الخامس: ألا تتطيب بأي نوع من أنواع الطيب، سواء كان بخورا أم دهنا، إلا إذا طهرت من الحيض فلها أن تستعمل التطيب في المحل الذي فيه الرائحة المنتنة.

أما ما يذكره بعض العامة من كونها لا تكلم أحدا، ولا يشاهدها أحد، ولا تخرج إلى حوش البيت، ولا تخرج إلى السطح ولا تقابل القمر ولا تغتسل إلا يوم الجمعة ولا تؤخر الصلاة عن وقت الأذان، بل تبادر بها من حين الأذان، فكل هذه أشياء ليس لها أصل في الشريعة، فالمرأة الحادة في مكالمة الرجال كغير الحادة، وكذلك في نظرها إلى الرجال ونظر الرجال إليها كغير الحادة يجب عليها أن تستر الوجه وما يكون سببا للفتنة، ويجوز لها أن تخاطب

الرجل ولو من غير محارمها إذا لم يكن هناك فتنة، ويمكنها أن ترد على الهاتف وعلى باب البيت إذا قرع وما أشبه ذلك[(١)]

س٧-هل يجوز للمرأة في فترة الحداد على الزوج الميت أن تستعمل التليفون في مخاطبة النساء ومن هم من محارمها كابنها مثلا؟.

الجواب: نعم يجوز لها ذلك مع النساء ومحارمها من الرجال عملا بالأصل وهو الإباحة، ويجوز أيضا تكليم غير محارمها عن طريق الهاتف على وجه ليس فيه محذور شرعا.[(٢)]

س٨- هل يجوز لبس الثوب الأسود حزنا على المتوفى، وخاصة إذا كان الزوج؟.

الجواب: لبس السواد عند المصائب شعار باطل لا أصل له. والإنسان عند المصيبة ينبغي له أن يفعل ما جاء به الشرع فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أؤْجُرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها.فإذا قال ذلك بإيمان واحتساب فإن الله سبحانه وتعالى يؤجره على ذلك ويبدله بخير منها. أما ارتداء لبس معين كالسواد وما شابهه فإنه لا أصل له،وهو أمر باطل ومذموم.[(٣)]

س٩- توفي زوجها، وتلزمها العدة وهي طالبة في المدرسة، فهل يجوز لها مواصلة الدراسة أم لا؟

الجواب: يجب على الزوجة المتوفى عنها زوجها أن تعتد وتحدَّ في بيتها

---

(١) (فتاوى إسلامية جمع المسند ج٣ ص ٣١٣)

(٢) (فتاوى إسلامية جمع المسند ج ٣ ص ٣١٨).

(٣) (المصدر السابق ص ٣١٣).

الـذي مات زوجها وهي فيه أربعة أشهر وعشرا، وألا تبيت إلا فيه، وعليها أن تجتنب مـا يحـسنها ويدعـو إلى النظـر إلـيها مـن الطـيب والاكـتحال بالإثمـد وملابـس الـزينة تتـزين بهـا، ونحـو ذلك مما يجملها. ويجوز لـها أن تخرج نهارا لحاجة تدعو إلى ذلك. وعلى هذه الطالبة المسؤول عنها أن تذهب إلى المدرسة، لحاجتـها إلى تلقـي الـدروس وفهـم المسائل وتحصيلها، مع التزامها اجتناب ما يجـب علـى المعـتدة عـدة الـوفاة اجتـنابه ممـا يغـري بهـا الـرجال ويدعـو إلى خطبتها.(١)

س١٠- المتوفـى زوجها: هل يجوز لـها الحج؟ والمعتدة من غير وفاة هل يجوز لـها ذلك؟.

الجواب: أما بالنسبة للمتوفى عنها زوجها فإنه لا يجوز لـها أن تخرج من بيتها وتسافر للحج حتى تنقضي العدة، لأنها في هذه الحال غير مستطيعة إذ أنه في هذه الحال يجب عليها أن تتربص في البيت،قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا ﴾ فلا بد أن تنتظر في بيتها حتى تنتهي العدة.

وأمـا المعـتدة مـن غـير وفاة فإن الرجعية في حكم الزوجة فلا تسافر إلا بـإذن زوجهـا، ولكـن لا حرج عليها إذا رأى من المصلحة أن يأذن لـها بالحج وتحج مع محرم لـها، وأما المبانة فإن المشروع أن تبقى في بيتها أيضا. ولكن لـها أن تحـج إذا وافـق الزوج على ذلك، لأن لـه الحق في هذه العدة، فإذا أذن لـها

(١) انظـر: ـ فـتاوى المرأة ـ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ واللجنة الدائمة للإفتاء ـ جمع المسند ص٧١ و٧٢).

أن تحج فلا حرج عليها. والحاصل أن المتوفى عنها يجب أن تبقى في البيت ولا تخرج.

وأما المطلقة الرجعية فهي في حكم الزوجات، وأمرها إلى زوجها.وأما المبانة فلها حريتها أكثر من الرجعية، ولكن مع ذلك لزوجها أن يمنعها من ذلك صيانة لعدته.[١]

س١١- إذا توفي عن المرأة (المسلمة الموظفة) زوجها، وهي في دولة لا تعطي لأي إنسان توفي عنه قريبه إجازة أكثر من ثلاثة أيام، فكيف تعتد في مثل هذه الظروف؟ لأنها إن قررت أن تعتد المدة المشروعة تفصل من العمل، فهل تترك الواجب الديني من أجل اكتساب المعيشة؟

الجواب: عليها أن تعتد العدة الشرعية وتلزم الإحداد الشرعي في جميع مدة العدة، ولها الخروج نهارا لعملها لأنه من جملة الحاجات المهمة وقد نص العلماء على جواز خروج المعتدة للوفاة في النهار لحاجتها، والعمل من أهم الحاجات وإن احتاجت لذلك ليلا جاز لها الخروج من أجل الضرورة خشية أن تفصل، ولا يخفى ما يترتب على الفصل من المضار إذا كانت محتاجة لهذا العمل. وقد ذكر العلماء أسبابا كثيرة في جواز خروجها من منزل زوجها الذي وجب أن تعتد فيه. بعضها أسهل من خروجها للعمل إذا كانت مضطرة إلى ذلك العمل. والأصل في هذا قوله سبحانه:(فاتقوا الله ما استطعتم)وقول النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم" متفق على صحته. والله

(١) كتاب "سؤال وجواب" من برنامج نور على الدرب، للشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع وإعداد أم عبدالرحمن ج ١ / ص ٩٠.

سبحانه وتعالى أعلم[١].

س١٢- تزوجت امرأة من رجل، ثم توفي عنها وليس له منها أولاد، ولا يوجد في بلد الزوج أقارب لها، فهل يجوز لها أن تنتقل من بلد زوجها إلى بلد وليها لتقضي مدة الإحداد عنده أم لا؟

الجواب: يجوز لهذه الزوجة أن تنتقل إلى بيت وليها أو إلى أي جهة أخرى تأمن على نفسها فيها لتقضي بقية حدادها على زوجها، إذا خافت على نفسها أو انتهاك حرمتها، ولم يوجد عندها من يحافظ عليها.

أما إذا كانت في أمن من الاعتداء عليها، وإنما تريد أن تكون قريبة من أهلها ؛ فلا يجوز لها الانتقال بل عليها أن تمكث في مكانها حتى تقضي مدة حدادها، ثم تسافر مع محرمها إلى حيث ترى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد و آله وصحبه[٢].

س١٣- هل يجوز للمرأة في فترة الحداد لبس الساعة لضبط الوقت لا للتجميل؟

الجواب: نعم، يجوز لها ذلك، لأن الأمر يتبع القصد. وتركها أولى لأنها تشبه الحلي[٣].

---

(١) فتاوى إسلامية جمع المسند ج ٣ ص ٣٢٠ ـ الشيخ ابن باز.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص(٣١٥).

(٣) "فتاوى المرأة" سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – واللجنة الدائمة للإفتاء جمع المسند ص٦٩.

الباب الثامن

كيف تنفع حبيبك وعزيزك بعد موته

- الدعاء
- زيارة قبره والوقوف عليه والدعاء بالمأثور وهذه الزيارة خاصة بالرجال دون النساء
- الصدقة عنه

فصل

الدليل المفيد لصدقة الفقيد

- الوقف الخيري
- بناء المساجد
- حفر الآبار
- كفالة الأيتام
- مشروع أحب الأعمال إلى الله
- مشروع العلم النافع
- مشروع بيت الأرملة وأيتامها
- دليل المحسن

الباب الثامن

كيف تنفع حبيبك وعزيزك بعد موته ؟

أولا: الدعاء:

وهو من أنفع الأعمال التي يقدمها الأحياء للأموات ؛ إذا توفرت فيه شروط القبول سواء كان من القريب أو البعيد لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ (سورة الحشر:١٠).

وأما الأحاديث فهي كثيرة جدا منها قوله ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك"[(١)].

وعن أبي الدرداء رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل". أخرجه مسلم وغيره والسياق له.

---

(١) رواه الإمام أحمد وقال ابن كثير رحمه الله : إسناده صحيح. (تفسير ابن كثير ٤ / ٢٥٩).

وقد رغب النبي ﷺ في دعاء واستغفار المسلمين بعضهم لبعض فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ: " من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة "(١) والأمر ليس مقتصرا على الأولاد والأقارب فقط ؛ بل الأمر أوسع من ذلك بكثير فرابطة الدين تحتم على كل مسلم أن يدعو لإخوانه المسلمين وخاصة الأموات منهم.

والميت بعد دفنه بحاجة ماسة للدعاء وقد كان من هديه ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل "(٢). (٣)

---

(١) قال في مجمع الزوائد ١٠ / ٢١٠ : إسناده جيد. وقال الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير: (إسناده حسن) حديث رقم (٦٠٢٦).

(٢) رواه أبو داود (وانظر صحيح الترغيب والترهيب (ج ٣ / ٣٥١١).

(٣) من البدع المنتشرة في بعض البلاد الإسلامية : تلقين الميت بعد دفنه ومستندهم في ذلك حديث باطل لم يثبت عن النبي ﷺ. قال فضيلة الشيخ عبدالله البسام رحمه الله بعد معلقا على حديث التلقين : فهذا حديث لا يصح رفعه، وقد ضعف هذا الحديث العلماء ومنهم صاحب أسنى المطالب وابن الصلاح والنووي والعراقي وابن حجر والصنعاني.
قال الأثرم : قلت لأحمد بن حنبل هذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان بن فلانه - قل لا إله إلا الله - ... "قال ما رأيت أحدا يفعله إلا أهل الشام حين مات المغيرة.
قال ابن القيم رحمه الله في المنار : إن حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه.
وقال الهيثمي : في اسناده جماعة لم أعرفه.
وقال النووي : هو ضعيف.
قال ابن القيم رحمه الله : كان هديه ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره وأصحابه، وسأل الله له التثبيت، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت، ولا يلقن كما يفعله الناس الآن. انتهى. (توضيح الأحكام من بلوغ المرام ٢/ ٥٥٩) بتصرف يسير.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله، كما قال بعض الصالحين: وأين مثل الأخ الصالح..؟ أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك: يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض.[١]

فهؤلاء مصادقتهم مغنم ومكسب عظيم، ولأخوتهم الأثر الكبير، فهم غيث رحمة يرسله الله على من يشاء من عباده. فلا يخلو منهم زمان. فالناس يبكون على فراقك وهو يبكي على قلة زادك ؛ لا تنسيه الأيام إن أنست غيره المعروف والعشرة التي كانت بينكما ؛ فتراه قد حمل همك وأنت في قبرك.. يلهث لك في ظلم الليالي بالدعاء والمغفرة والرحمة.

ثانيا: إن مما ينفع المسلم بعد موته زيارة قبره والدعاء له:

وهذا خاص بالرجال دون النساء لورود النهي في حقهن[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: في هدي النبي صلى الله عليه في زيارة القبور:

كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته، وشرعها لهم، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون، نسأل الله لنا ولكم العافية. رواه مسلم. وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها، من جنس ما يقوله عند الصلاة على

(١) شرح حديث يتبع الميت ثلاث ص ٢٣.

(٢) لفضيلة الشيخ العلامة بكر عبد الله أبو زيد عافاه الله ؛ رسالة قيمة في حكم زيارة النساء للمقابر؛ وهذه الرسالة تعتبر من أول مصنفات الشيخ وفقه الله.

الميت، من الدعاء والترحم، والاستغفار.[(١)]

ودليل انتفاع الأموات بزيارة الأحياء ما يلي:

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع، فيدعو لهم، فسألته عائشة عن ذلك؟ فقال: إني أمرت أن أدعو لهم"[(٢)].

وعنها أيضا قالت: "كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل فيقول: السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم وما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد".[(٣)]

وهناك فائدة أخرى من الزيارة غير ما ذكر من نفع الميت ألا وهي: انتفاع الزائر نفسه بالزيارة وذلك بذكر الموت والموتى، وأن مآله إلى ما آلوا إليه إما إلى جنة أو نار. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن فيها عبرة، [ولا تقولوا ما يسخط الرب].[(٤)]

---

(١) انظر زاد المعاد ١/٥٢٦.

(٢) أخرجه أحمد بسند صحيح ـ انظر أحكام الجنائز ـ للعلامة الألباني رحمه الله ص ٢٣٩.

(٣) قال العلامة الألباني رحمه الله : أخرجه مسلم (٣ / ٦٣) والنسائي (١ / ٢٨٧) وابن السني (٥٨٥) والبيهقي (٤ / ٧٩) وأحمد (٦ / ١٨٠) وليس عنده الدعاء بالمغفرة، والزيادة له ولابن السني. انظر أحكام الجنائز ـ للعلامة الألباني ـ ٢٣٩.

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٣٨ و ٦٣ و ٦٦) والحاكم (١ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وعنه البيهقي (٤ / ٧٧) ثم قال : "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. ورواه البزار أيضا (٨٦١). انظر المصدر السابق ص ٢٢٨.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله السؤال الآتي:

هل الميت يشعر بالذين يزورونه في المقبرة؟ وهل الواجب الوقوف أمام القبر أم يكفي دخول المقبرة فقط؟ أفيدونا أفادكم الله؟

الجواب: الشعور من الميت بزائره الله أعلم به، وقد قال بعض السلف بذلك، ولكن ليس عليه دليل واضح فيما أعلم، ولكن السنة معلومة في شرعية زيارة القبور وأن نسلم عليهم، فنقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يغفر الله لنا ولكم، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين" رواه مسلم.

كل هذا مشروع، وأما كونه يشعر أو لا يشعر هذا يحتاج إلى دليل واضح، والله أعلم - سبحانه وتعالى - ولكن لا يضرنا شعر أم لم يشعر، علينا أن نفعل السنة فيستحب لنا أن نزور القبور، وأن ندعو لهم ولو لم يشعروا بنا، لأن هذا أجر لنا وينفعهم، فدعاؤنا لهم ينفعهم، وزيارتنا تنفعنا لأن فيها أجرا، ولأن فيها ذكر الموت وذكر الآخرة فننتفع بها، والميت ينتفع بذلك أيضا، بدعائنا له، واستغفارنا له، فينتفع الميت بذلك.

أما الوقوف على القبر، فالأمر فيه واسع إن وقف على القبر فلا بأس، وإن وقف على حافة المقبرة وسلم كفى، فإذا وقف على طرف القبور وقال: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ونسأل الله لنا ولكم العافية يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين" كفى هذا، وإن اتصل بقبر أبيه، أو قبر أخيه يكون أفضل وأتم، فكونه يصل إلى قبر أخيه وأبيه أو قريبه، أو صديقه يقف عليه، ويقول السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته، غفر الله لك ورحمك الله، وضاعف حسناتك، ونحوها

طيب، وهذا أفضل وأكمل.[(١)] [(٢)]

ثالثا: الصدقة عنه.

ودليله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو

---

(١) فتاوى نور على الدرب بن باز ج١ ص٢٧٦.

(٢) إن أحوج ما يكون الإنسان محتاجا للحسنات عندما يموت ويوارى تحت التراب ؛ حين يجاور الأموات، حين يفارق الأهل والأحباب رغما عنه. ويصير وحيدا منفردا حيل بينه وبين العمل.

فالسعيد منهم من احتاط لنفسه قبل الرحيل بعمل يؤنسه وينير له ظلمة القبر ويزيل عنه الهم والغم ؛ فقد قيل : كم في هذه القبور من الهموم والأحزان.

ولذلك أحثاخواني وأخواتي قراء هذه الرسالة أن يعتبروا بمن سبقهم وأن يقدموا لأنفسهم ما يسعدهم ويزيل وحشتهم إذا صاروا إلى ما صار إليه هؤلاء الأموات الذين نسأل الله عز وجل أن يرحمهم برحمته وأن يغفر لهم.

وفي هذه المناسبة خطر على بالي مثل نحن بأشد الحاجة إلى فهمه ومن ثم تطبيقه وهو مثل ملموس نراه في الصباح والمساء مثل يحمل في باطنه أبعاد مهمة بالنسبة للمؤمن والمثل هو : كشاف الشحن!

كثيرا ما نراه مثبتًا في المساجد والمنازل والمستشفيات والمحلات والشركات .... وفائدة هذا الكشاف كما هو معلوم العمل عند انقطاع التيار الكهربائي فمتى ما انقطع التيار بدأ بالعمل تلقائيا وكأن شيئا لم يكن.

عندها يغتبط صاحب ذلك المنزل أو المتجر أو الشركة فانقطاع التيار لم يؤثر على بيته أو متجره فالنور لم يفارقه ؛ بخلاف جيرانه أو من يحيط به الذين ما احتاطوا لأنفسهم بوضع مثل هذا الجهاز ولم يحسبوا حسابا لهذه الساعة وهذا الظرف.

والهدف من طرح هذا المثل هو هذا السؤال :

كيف يمكننا تطبيق هذا المثل على الحياة الآخرة ؟

أقول لك نعم.. إن الأمر جدا سهل.. انزل حياتك بمنزلة الكهرباء وموتك بمنزلة انقطاع التيار الكهربائي، وأعمالك الصالحة من صدقات جارية وغيرها بمنزلة الكشاف.. فمتى ما خرجت الروح أضاءت وأنارت تلك الأعمال والصدقات ظلمات القبر وظلمات الصراط ...

والآن أعرفت مدى حاجتنا لهذا الكشاف ؟

وكأني بك تسأل وتقول اذكر لي بعض هذه الأعمال التي تعود علي وعلى ميتي بالخير.

أقول : نعم هذا ما ستراه إن شاء الله في الفصل القادم تحت عنوان الدليل المفيد لصدقة الفقيد.

غائب عنها فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟

قال النبي ﷺ: "نعم".

قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف - أي البستان - صدقة عنها. رواه البخاري.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أمي أفتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بدعاء الخلق وبما يعمل عنه من البر وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع ... الخ(١)..

وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات.

قال الأستاذ مروان كجك وفقه الله: وكم كان لهذه العقيدة من فوائد على الأحياء قبل الأموات إذ استحثت الناس على بر موتاهم بالإحسان إلى أحيائهم ؛ فقامت على طول العالم الإسلامي وعرضه مؤسسات خيرية وقفية انطلقت من مبدأ بر الأحياء بالأموات امتد عطاؤها ليشمل كل مناحي الحياة وشعبها ؛ فهنا مستشفى أقامه أبناء فلان المتوفى، وذاك معهد بنته ابنة فلان صدقة عن أمها يتعلم فيه أبناء المسلمين، وتلك مبرة أوصى بها فلان قبل موته

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم ٣/ ١٣٩.

تشيع الخير بين المحتاجين، وذلك علم ينتفع به الأجيال خلفه عالم رباني أو فقيه بدين الله حصيف، وذاك مسجد بناه السلطان فلان أو المحسن الكريم فلان يعبد المسلمون فيه ربهم آناء الليل والنهار، وذاك وذاك

وذاك... إلى ما لا حصر له من أعمال البر والخير التي أرسيت قواعدها على هذه العقيدة المعطاءة التي تجعل من الموت نقطة انطلاق نحو مرابع الخير والبر(١).

وكثير أولئك الذين يسألون ويستخبرون العلماء كيف نستطيع أن ننفع آباءنا وأمهاتنا وأقاربنا أو من يعز علينا بعد ما فقدناهم وارتحلوا عنا؟. وما هي الأعمال التي نستطيع أن نقدمها من أجل أن يصل ثوابها لهم؟

ولا شك أن هذا السؤال نابع من قلب ينبض بالرحمة والشفقة والبر ؛ مؤمن بالغيب محسن بربه الظن ؛ فلله دره من قلب رحيم حنون. وإني أبشر أهل هذه القلوب الرحيمة بقول الحبيب ﷺ: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء".(٢)

وإيمانا مني بقول النبي ﷺ: "الدال على الخير كفاعله" فقد خصصت الفصل القادم للجواب على السؤال، مع ذكر بعض المشاريع الخيرية التي يمكن للإنسان أن يقيمها ويجعل ثوابها لنفسه أو لعزيز قد رحل عنه.مع ذكر قيمة كل مشروع، مع بعض الإيضاحات.

وإني بذلك أرجو من الله أن أكون قد ساهمت في الدلالة على الخير.

---

(١) انظر كتاب الأستاذ : مروان كجك وفقه الله. (انتفاع الموتى بعمل الأحياء ص ٧).

(٢) صحيح الجامع : حديث رقم (٢٣٨١).

فصل
الدليل المفيد لصدقة الفقيد

قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "..ألا أدلك على أبواب الخير"؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال، " الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ".[١]

المبحث الأول:
الوقف الخيري

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: لم نر خيرا للميت ولا للحي من هذه الحبس الموقوفة.

تعريف الوقف: هو حبس الأصل وتسبيل المنفعة.

مشروعية الوقف: قال الله عز وجل: (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) سورة آل عمران:٩٢)

ومن السنة ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ".

وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها؟ فقال يا رسول إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٨٦٨

قط ما لا هو أنفس عندي منه فما تأمرني به؟ قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب قال فتصدق عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله، وابن السبيل والضعيف ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول منه.

وأما عمل الصحابة فقد قال جابر رضي الله عنه ما أعلم أحدا كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من ماله صدقة مؤبدة.[١]

- **أهمية ومزايا الوقف:**

١- أن يرى الواقف ثمرة صدقته في حياته فتقر بها عينه.

٢- حصول الأجر والثواب للمسلم في حياته.

٣- تحقيق رغبة المؤمن في لقاء الخير له جاريا بعد موته ووصول الثواب إليه وهو في قبره حين ينقطع عمله من الدنيا.

٤- الوقف أدوم الصدقات لأن الأصل فيه البقاء.

٥- الوقف أعمها نفعا وأكثرها استمرارا.

٦- بقاء الأصل مع الانتفاع بالغلة.

٧- يقطع مداخل الشيطان والهوى عن الرجوع في صدقته أو في بعضها.

٨- يضمن توفير مورد ثابت للمشاريع والمؤسسات الخيرية.

٩- الوقف وسيلة من وسائل التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

---

(١) المغني لابن قدامة ٨/ ١٨٥.

المبحث الثاني:

بناء المساجد:

أهمية بناء المساجد:

المسجد له دور عظيم فهو يعتبر مكان تجمع للمسلمين ومنارة خير ومركز دعوة وهداية وهو أول ما قام به النبي ﷺ بعد وصوله للمدينة النبوية نظرا لأهميته في الإسلام.

فضل بناء المساجد:

عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: "من بنى مسجدا لله، يذكر الله فيه، بنى الله له مثله في الجنة".(١)

التكلفة المالية لبناء المسجد:

إن تكلفة بناء المسجد تتوقف على معرفة مساحة المسجد المراد بنائه ومعرفة مكان البناء حيث أن القيمة تختلف من دولة إلى دولة كما هو مبين في الجدول التالي:

الفئة	المساحة	النوع	التكلفة
الفئة الأولى	٦×١٠	مسجد فروض	٣٥٠٠٠ ر.س
الفئة الثانية	١٢×٦	مسجد فروض	٤٠٠٠٠ ر.س
الفئة الثالثة	١٠×١٥	جامع وسط	٨٦٠٠٠ ر.س
الفئة الرابعة	٢٠×٢٥	جامع كبير	٢٨٠٠٠٠ ر.س
الفئة الخامسة	مركز إسلامي + سكن طلابي + قاعة محاضرات + غرف دراسية طابقين + مستوصف + مسجد مساحته ١٠× ١٤+ مطبخ + مكتبة + بئر سطحي. بتكلفة إجمالية وقدرها ٣٦٥٠٠٠ ريال سعودي.		

(١) صحيح الجامع (٦١٣٠).

وإذا لم يستطع المتبرع أن يدفع المبلغ كاملا فهناك طريقة ميسورة يستطيع من خلالها أن يجمع المبلغ بكل سهولة وهي أن يقترح ويحث إخوانه وأهل بيته على أن يشاركوا في التصدق لهذا المشروع الخيري لصالح فقيدهم ويحصل الغرض بذلك إن شاء الله.[1] ملحوظة: وبعد دفع المبلغ سوف يزود المتبرع بثلاثة تقارير:

الأول: عند كتابة العقد، الثاني: عند بداية التنفيذ، الثالث: عند الانتهاء من المشروع.

---

(١) ومن المناسب أن أذكر هنا أن هذه الفكرة كانت هي السبب الأول ـ بعد توفيق الله ـ في جمع وتأليف هذا الكتاب، وذلك أنه في سنة ١٤٢٢ قد توفي أحد الأخوة من جماعة مسجدي الذي أصلي فيه ـ وكان رحمه الله ـ من المحافظين على الصلاة، وكم كان مباركا رحمه الله في حياته وبعد مماته، فحزنت لموته كثيراً ؛ عند ذلك اقترح علي البعض بجمع مبلغ من المال لإقامة مشروع خيري عبارة عن حفر : (بئر) يكون اجره وثوابه لأخينا العزيز فتشجعت لهذه الفكرة فقمت بطرحها على الأخوة جماعة المسجد فتشجعوا لها ايضا جزاهم الله خيرا فجمعنا منهم المبلغ ودفعناه لإحدى المؤسسات الخيرية وهم بدورهم حفروه وأسميناه باسم صاحبنا رحمه الله..

ونرجو بذلك أن نكون سننا سنة حسنة.

فكم هو جميل أن تلمس في مسجدك مبدأ ومفهوم التكافل والتراحم وكم كان المشهد جميلا أيضا وأنت ترى الكبار والصغار يتعاقبون على الإمام من أجل بذل المال والمشاركة في هذا المشروع بل حتى النساء في بيوتهن كن يرسلن أطفالهن من أجل المساهمة في هذا المشروع.

وعند وصول التقرير النهائي للمشروع فقد علقت صورة البئر في لوحة الإعلانات وهو يحمل اسم صاحبنا – رحمه الله فكانت فرحة الجماعة كبيرة ودعوا هنالك لصاحبنا رحمه الله.

وتكتمل الصورة الجمالية لهذا المشروع عندما أرسلنا التقرير لأهل الميت فقد كانت فرحتهم عظيمة وهم يرون اسم والدهم قد كتب على بئر ماء في شرق آسيا !!

فما أعظم هذا الدين تموت يوم تموت وتوسد التراب وحيدا فريدا – فتجد من يذكرك ويقضي عنك دينك، ويقيم لك المشاريع الخيرية التي لو كنت أنت حيا ما أقمتها لنفسك، فأي تكافل وتراحم أتى به هذا الدين العظيم!!

المبحث الثالث :

حفر الآبار

أهمية الماء:

قال الله جل وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (سورة الأنبياء:٣٠)

فضل صدقة الماء:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة، قال: " إن كنت أقصرت الخطبة ؛ لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن " الحديث(١)

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أنزع في حوضي، حتى إذا ملأته لإبلي، ورد علي البعير لغيري فسقيته، فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ " في كلذات كبد حرّى أجر ".(٢)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " سبع تجري للعبد بعد موته، وهو في قبره: من علم علما، أو كرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته " (٣)

---

(١) صحيح الترغيب ١/ ٩٥١.

(٢) صحيح الترغيب ١/ ٩٥٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٩٥٩.

وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنه عن النبي ﷺ قال:: ليس صدقة أعظم أجرا من ماءٍ". [١]

عـن سـعد بـن عـبادة رضـي الله عـنه قـال: قلت يا رسول الله! إن أمي ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: "الماء" فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد. [٢]

وعـن جابـر بـن عـبدالله رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله ﷺ قال: "من حفـر مـاء لم يـشرب مـنه كبد حرّى من جن ولا إنس ولا طائر ؛ إلا آجره الله يوم القيامة". [٣]

وقـد ذكر الإمام المنذري حكاية شيخه الحاكم أبي عبدالله رحمه الله: فإنه قـرح وجهه، وعالجه بأنواع المعالجة، فلم يذهب وبقي فيه قريبا من سنة، فسأل الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو لـه في مجلسه يوم الجمعة، فدعا لـه، وأكثر الـناس التأمين، فلما كان من الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عـادت إلى بيـتها، واجـتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبدالله تلك الليلة، فرأت في مـنامها رسـول الله ﷺ كأنـه يقول لـها: قولي لأبي عبدالله يوسع الماء على المسلمين.

فجـئت بالـرقعة إلى الحـاكم، فأمـر بـسقاية بنـيت على باب داره، وحين فـرغوا من بنائها، أمر بصب الماء فيها وطرح الجَمْد[٤] في الماء، وأخذ الناس في الـشرب، فمـا مـرّ علـيه أسبوع حتى ظهر الشفاء، وزالت تلك القروح، وعاد

---

(١) صحيح الترغيب ١/ ٩٦٠.

(٢) المصدر السابق ٩٦٢.

(٣) المصدر السابق ٩٦٣.

(٤) (قال في مختار الصحاح الجمد : بوزن الفلس ما جمد من الماء وهو ضد الذوب وهو مصدر سمي به).

وجهه إلى أحسن ما كان، وعاش بعد ذلك سنين.[(١)]

ومن التجارب الشخصية أذكر أنه أتاني أحد الأخوة التجار - من أجل الرقية - وقد كان مصابا بالسرطان - عافانا الله وإياكم من ذلك وشفى جميع مرضى المسلمين - وكنت أتردد عليه كل يوم لمدة ثلاثة أسابيع تقريبا - وهذا التردد من باب إنزال الناس منازلهم فقد كان من أهل الخير والعطاء فجزاه الله خير الجزاء - وقد أثر على نفسه هذا المرض فتراه كالغريق الذي يبحث عن النجاة بأي وسيلة - وأذكر أني قلت له يا أبا فلان قال النبي ﷺ: داووا مرضاكم بالصدقة".

قال يا شيخ أطلب الرقم الذي تريد وجهني لأي مشروع تراه مناسب ؛ وذلك لأنه يعلم أني أعمل في إحدى المؤسسات الخيرية. فقلت أما هذا فقد كفانيه الرسول ﷺ عندما سئل عن أفضل الصدقات، فأجاب وقال " سقي الماء".

وذكرت له قصة الحاكم السابقة فقال ماذا تقترح يا شيخ؟ فقلت لو حفرت بئرا؟

وفعلا دفع لي قيمة البئر ثم مكثت شهرين فيأتي البشير بأن صاحبي قد تعافى من السرطان.

وقصة أخرى اتصل بي أحد الأخوة فقال لي يا شيخ: ابن عمي قد تزوج من ثلاثة أعوام تقريبا وقد عمل له - سحر - تفريق بينه وبين أهله، وكان نتيجة هذا السحر أيضا أنها لم تنجب إلى الآن ومع القراءة ذكرتهم بما

---

(١) صحيح الترغيب ١/ ٩٦٤.

ذكـر بـه أخانـا التاجـر - وكـان هذا أيضا من التجار - فتحمس لما قلت فقال سـأزورك بعـد العـصر في المكـتب ؛ فعـندما زارنـي تبرع جزاه الله خيرا بقيمة بئـرين فقلـت لـه واحد يكفي فقال: ولكني أريد اثنان لعل الله يشفيها ويرزقني منها الذرية الصالحة.

فقلت أترغب أن نسميهما اسما معينا؟ فقال الأمر إليك..!

ومـن بـاب الـتفاؤل بالأسمـاء سمـيت الأول بئـر الـشفاء والثانـي بئر البركة.

وتمـضي بعـد ذلـك أربعة أشهر فيأتي البشير بأن الله عز وجل قد شافى تلـك المـرأة ومـنّ علـيها بالحمـل حيث أنها الآن بالشهر الرابع. نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياها الذرية الصالحة.

التكلفة المالية لحفر البئر:

الحـال هنا كسابقه في بناء المسجد فالتكلفة تتوقف على نوع البئر ومكان التنفيذ كما هو مبين في الجدول التالي:

الملاحظات	التكلفة	فئة الآبار
التكلفة تختلف من دولة إلى دولة	من ٥٠٠٠ - ٨٠٠٠ ر.س	آبار سطحية
التكلفة تختلف من دولة إلى دولة	من ٤٠٠٠٠ - ٩٠٠٠٠ ر.س	آبار ارتوازية

وإذا لم يـستطع المتبرع أن يدفع المبلغ كاملا فهناك طريقة ميسورة يستطيع مـن خلالهـا أن يجمـع المـبلغ بكـل سهولة وهي أن يقترح ويحث إخوانه وأهل بيـته علـى أن يـشاركوا في التـصدق لـهـذا المـشروع الخـيري لـصالح فقيدهم ويحصل الغرض بذلك إن شاء الله.

وبعد دفع المبلغ سوف يزود المتبرع بثلاثة تقارير:

الأول: عند كتابة العقد.

الثاني: عند بداية التنفيذ.

الثالث: عند الانتهاء من المشروع.

المبحث الرابع:

كفالة الأيتام

اليتيم: حده البلوغ، فإذا بلغ اليتيم زال عنه اليتم هذا إن مات أبوه وأما إذا ماتت أمه دون أبيه فإنه ليس بيتيم.

قال الله عز وجل: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ (سورة الإنسان: ٨ - ٩)

فضل كفالة اليتيم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

"كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار مالك بالسبابة والوسطى"[١]

قوله: (له أو لغيره): يعني كان اليتيم قريبا منه كالأم تكفل ولدها اليتيم أو الجد أو الجدة أو الأخ أو كان أجنبيا منه لا قرابة بينه وبينه فإن كل واحد من هؤلاء يحوز هذا الأجر العظيم.[٢]

طريقة الكفالة:

تكون طريقة اختيار اليتيم المرغوب في كفالته عن طريق الاستمارات الموجودة في كل مكتب من مكاتب الجمعيات والمؤسسات الخيرية.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) اتحاف ذوي الألباب بما في الأقوال والأفعال من الثواب ص : ٤٢٠.

التكلفة المالية للكفالة الواحدة

(١٢٠٠) ريال في السنة الواحدة.

طريقة الدفع

إما سنوي أو شهري ويكون ذلك مناولة أو عن طريق البنك (استقطاع شهري). ولا شك أن طريقة الدفع عن طريق البنك هي الأفضل من وجوه عدة:

ا - تضمن للمتبرع الدفع في الوقت المحدد وتجنبه التأخير مما يعود ذلك بالنفع على اليتيم.

ب- تضمن للمتبرع الاستمرارية في الكفالة - خاصة أن الإنسان معرض للسفر والتنقل من منطقة إلى منطقة أخرى مما يسبب له صعوبة الإتصال بالمكتب.

ج- سد مداخل الشيطان حيث أنه دائما يأمر الإنسان بالشح والبخل والتسويف في الصدقة. فإذا استقطعها من راتبه فإنها ستهون على صاحبها إن شاء الله.

د- يرجى له أن يشمله حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ....، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.[١]

يزود الكافل كل (٦) أشهر تقريبا بتقرير كامل ومفصل عن حالة اليتيم:

(الدينية - الصحية - التعليمية الاجتماعية).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

المبحث الخامس :

مشروع أحب الأعمال إلى الله

فكرة المشروع:

مأخوذة من قوله ﷺ: أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل".

فضله:

هو يعتبر من أفضل الأعمال إلى الله ودليل ذلك ما يلي:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل". متفق عليه.

طريقة الاشتراك في هذا المشروع:

التبرع عن طريق البنك وذلك من خلال تعبئة الاستمارة الخاصة بهذا المشروع وهي متوفرة في جميع مكاتب الجمعيات والهيئات والمؤسسات الخيرية وما على المتبرع إلا كتابة المبلغ المرغوب فيه ورقم حسابه وتوقيعه ومن ثم تكون عملية التبرع تلقائية من حساب المتبرع إلى حساب المشروع وذلك عند بداية كل شهر.

يتميز هذا المشروع عن غيره بما يلي:

- مجال المساهمة فيه مفتوح غير محدد حيث أن المتبرع له أن يشارك فيه بأي مبلغ يريد.
- تنوع ريع هذا المشروع فتارة يصرف في بناء المساجد وتارة في بناء المعاهد وتارة في حفر الآبار وأخرى في بناء ملاجئ الأيتام وطباعة الكتب..الخ والجامع لما سبق أنها كلها تعتبر من الصدقات الجارية.

فهو مشروع كريم مرن غير مقيد لا في المساهمة ولا في الريع.

المبحث السادس :

مشروع العلم النافع

فضله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ". رواه مسلم.

فكرته:

الدعوة إلى الله وذلك بطباعة وتوزيع الكتب الإسلامية النافعة وإقامة الدورات الشرعية وكفالة الطلاب وكفالة المعلمين وتسيير القوافل الدعوية... الخ.

التكلفة المالية للمشروع:

ليس لهذا المشروع تكلفة محددة فللمتبرع أن يتبرع بأي مبلغ يشاؤه، وذلك من خلال الحضور إلى المؤسسات الخيرية أو الإيداع عن طريق البنك.

وهناك الكثير من المشاريع التي يستطيع المتبرع المشاركة فيها ولذلك أدعو الجميع بالتفضل بزيارة المكاتب الخيرية للوقوف على باقي المشاريع، كما أني أدعو الأخوات كذلك لزيارة اللجان الخيرية النسائية للتعرف عن قرب على المشاريع.

وأخيرا أسأل الله عز وجل أن يشرح صدرك أيها القارئ لفعل الخير والمعروف وأن يهديك لما فيه خير الدنيا والآخرة وأن يجعلنا وإياك مباركين وأن يهدينا ويهدي بنا ويجعلنا سببا لمن اهتدى. وأن يجعلنا وإياك ذخر خير لهذه الأمة.

المبحث السابع :

مشروع بيت الأرملة وأيتامها

فضل المشروع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسرعلى معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخر، ومن ستر مسلما في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه ". رواه مسلم.

التعريف بالمشروع: يتكون المشروع من غرفتين ٤م×م٤ و٣م× ٣م ومطبخ ٣×٣م وملحق به دورة مياه ٢×٢ وفناء.

مكان التنفيذ: المخيمات الفلسطينية في دولة الأردن.

المستفيدون من المشروع: الأرامل الفلسطينيات وأيتامهن.

التكلفة الإجمالية للمشروع: ٢١٥٠٠ ريال.

دليل المحسن

مشاريع خارج المملكة:

م	اسم المشروع	التكلفة	الملاحظات
١	كفالة ؛ داعية / مدرس / طالب علم	٣٦٠٠ - ٦٠٠٠ ريال في السنة	
٢	كفالة طبيب	٦٠٠ - ٢٠٠٠ ريال في الشهر	
٣	كسوة يتيم أو مسكين	٥٠ ر.س	
٤	مؤونة شتاء	٤٠ ر.س	
٥	ذبائح	٢٥٠ - ٣٥٠ ر.س	
٦	شراء ما كينة خياطة للفقراء	٥٠٠ ر.س	
٧	سيارة إسعاف	٧٠٠٠٠ر.س	
٨	افطارصائم	٥ ريال للشخص	
٩	حجاب شرعي للنساء	٦٠ ر.س	
١٠	مشروع سقيا ماء	١٥٠٠ر.س	شراء برادة ماء
١١	بناء مدرسة إسلامية	٧٢١٠٠ر.س	في إندونيسيا
١٢	توزيع الشريط الأشرطة الدعوية	١,٥٠ للشريط الواحد ر.س	توزيع خيري
١٣	دعم الدورات الشرعية	ما تيسر	
١٤	علاج الجرحى والإنفاق على عوائل الشهداء	ما تيسر	
١٥	أكفان لفقراء المسلمين (١)	٥٦ ر.س للرجل وللمرأة ٦٥ ر.س	

للاستفسار عن هذه المشاريع يتصل على المؤلف على جوال ٠٥٠٧٢٤٣٢٤٣ أو على العنوان المبين في آخر الكتاب.

---

(١) تواترت الأخبار أن في بعض دول أفريقا كأوغندا وغيرها أن المسلمين هناك لا يجدون ما يكفنون به موتاهم مما يضطرهم إلى دفنهم بملابسهم والله المستعان.
وإني أحث الأخوة والأخوات وأهيب بهم لدعم هذا المشروع وأذكرهم بقوله ﷺ: «من غسل ميتاً فستره ستره الله من الذنوب ومن كفنه كساه الله من السندس» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع].
وقوله ﷺ: «من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتاً كساه الله له سندس واستبرق في الجنة، ومن حفر لميت قبراً فأجنه فيه أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة» [رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب].

بعض المشاريع الخيرية المقترحة

(داخل المملكة العربية السعودية)

١- بناء مسجد - مخصص للصلوات الخمس.

٢- بناء جامع.

٣- إقامة مصليات + خزان ماء وذلك على طرق السفر.

٤- بناء مركز عبارة عن مسجد (جامع) + دارلتحفيظ القرآن + مغسلة أموات + مكتبة + شقة للضيوف والزوار.

٥- بناء دار للحديث عبارة عن مجموعة فصول + مكتبة + شقة للضيوف والزوار + إستراحة عبارة عن ملاعب وحمام سباحة [للإيجار وريعها يعود للدار]

٦- بناء بيت للأرملة (وقف).

٧- إنشاء دار نسائية لتحفيظ القرآن الكريم + حضانة يعود ريعها للدار)

٨- بناء بيت من طابقين بجوار بعض المساجد التي لا يتوفر فيها سكن للإمام والمؤذن ووقفه على المسجد ولا يخفى ما في ذلك من إعانة لهما على أداء رسالتهما النبيلة.

٩- تفطير الصائمين في شهر رمضان (قيمة الوجبة خمسة ريالات).

١٠- توزيع وجبات غذائية لحجاج بيت الله الحرام قيمة الوجبة الواحدة (١٠ ريالات).

١١- قضاء دين المعسرين خاصة من يقبعون في السجون والسعي لجمع

شملهم مع أولادهم وأهليهم ولا يخفى ما في ذلك من تفريج الكروب وهي من الأعمال التي وعد الله ورتب لمن فعلها الأجر العظيم والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة.(١)

---

(١) لقد أصبح الدائنون اليوم يعاملون المعسرين المدينين بأساليب شتى من الظلم البشع، وأشهرها طريقان ومسلكان :

أما الطريق الأول : الذي يعامل به الدائن مدينه ؛ وخصوصا المعسر :

ما كان يفعله أهل الجاهلية الأولى مما يسمى : بقلب الدين على المعسر، كان الرجل إذا تحملت ذمته بدين لآخر وحان الأجل ولم يؤد الذي عليه، قال له : ياهذا إما أن تقضي وإما أن تربي، إما تقضي ديني أو أقلب الدين عليك أضعافا مضاعفة، وأحتسب عليك نسية من الربا، فلا يزال يقلب عليه الدين شهورا وأعواما عديدة حتى يضاعف عليه الدين أضعافا مضاعفة، وحتى يصبح الربا متراكما ؛ بحيث يصبح المدين عاجزا عن السداد ولو باع نفسه وأهله وأولاده وجميع ما يملك.

وهذا الربا من الظلم الصارخ الذي ندد الله به، وذم االمتعاملين به، وأوعدهم لعنة وخزيا في الدنيا ونارا حامية في الآخرة، وآذنهم بحرب منه عليهم.

كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) [آل عمران : ١٣٠]. وقال سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رأوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) [سورة البقرة : ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

وللأسف الشديد أن بعض المسلمين ما زال يتعامل بهذا النوع من المعاملة، وأعادوا ربا الجاهلية الذي مقته النبي ﷺ الله عليه وسلم، ولعنه ووضعه تحت أقدامه، فقال : "ألا إن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا عمي العباس بن عبد المطلب" رواه مسلم.

وأما الطريق الثاني : والذي هو غالب وشائع في زماننا وكثير، وتترتب عليه مفاسد لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى يبكي لها المسلم، مصائب ومآسي ومخازي نجمت عن هذا النوع الذي سنذكره ألا وهو :

إن كثيرا من الدائنين والأغنياء يضيقون على هؤلاء المفلسين والمحتاجين، وهم يعلمون أنهم لا يجدون سدادا، وهم متيقنون تمام اليقين أنهم لا يملكون إلا ثيابهم التي على أجسامهم، وبيوتهم التي يسكنونها ؛ إن لم تكن بالإيجار.

فهم رغم ذلك يضيقون عليهم ويستعدون عليهم السلطة، ويدعون إلى سجنهم والتضييق عليهم، ويعاملونهم بمعاملة بشعة، هذا وهم يعلمون أنهم في وضع لا يحسدون عليه، يعلمون أن المصائب قد ترادفت عليهم بأعجازها ونأت عليهم بأثقالها، ففي الوقت الذي يكون فيه هذا المسكين قد خسرت تجارته، =

= وتشتت أوموالـه، وضـاع رأس ماله، وتراكمت ديونه، وعجز عن سدادها، وكثر غرماؤه، وقل رحماؤه، وصار إلى حال من المأساة لا يعلمها إلا الله وصار يصدق عليه قول الشاعر

صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا.

فتجده في النهار يسيرمستخفيا متواريا، خجلا وخوفا من الناس.

وفي الليل إذا ما جن عليه الليل ونام النائمون، وهجع الهاجعون، وأسدل الليل عليهم لحاف الراحة والهناء، خطرت على باله همومه، وأنزلت بداره غمومه...

فلا هناء في نومه، ولا بأكله..

وبعـد هذا كله تجد غريمه يزيد الطين بللا، ومرضه علة، فيستعدي عليه، ويطلب سجنه، حتى يكون سببا في سـجنه، ويكـون سـببا في بقائـه في السجن قابعا فيزيد أحزانه وآلامه، ويشتت امرأته ويضيع أولاده، ويسد عليه منافذ الرزق، وهو يعلم هذا من حاله، وشدة فقره وإعوازه.

يتـسبب في سـجنه،؛ يـترك أمـا فانـية أو شـيخا كبيرا يدعوان عليه في أسحارهـم وصلواتهم، أو يترك صبية صـغارا وأفـراخا صـغارا لا يجـدون من يبل حلوقهم ويسد جوعتهم، أو يترك زوجة مسكينة لا تدري هل تلـتفت إلى نفـسها وشأنها، أو تلتفت إلى أو لادها الذين أسهرهـم الجوع، وآلمهم الفقر، أو تلتفت إلى أحزان زوجها الذي غيب عنها في غياهب السجون، لا تدري ما يفعل به.

لقد سمعنا عن مصائب كثيرة !! كم أسرة تشتّتت بسبب ظلم الدائن مدينه ؟!

- كم من زوجة طلبت الطلاق من زوجها وفراقه ؟! لأنها لا تشاهده إلا ساعة في الأسبوع أو ساعة في الشهر بسبب سجنه ! فضيع أولاده ! وتشتّتت أسرته !
- بل كم من امرأة شريفة ما اعتادت السؤال يوما من الدهر ؟!، وقفت تطرق أبواب المحسنين وتستجدي نوال المتفـضلين ! تسألهم من نوالهم ومن فضل الله سبحانه وتعالى ! مع أنها لم تعتد هذا النمط من السؤال ! لأن زوجها سجن وترك لـها صبية لا تجد ما تحملهم عليه !
- بـل كـم مـن امـرأة شـريفة عفيفة، اضطرتها مطرقة الفقر الثقيلة ! حتى سلكت سبلا ملتوية ودروب البغاء والشر والشقاء والفجور ! والعياذ بالله ؟!!

ومما سمعناها من قصص هؤلاء ما يحكيه أحد الثقات عن أحد المحسنين الذين يتتبعون هؤلاء قال :

دخلـت الـسجن لأجـمع أخـبار أمثال هؤلاء المنكوبين، فاعترض لي شاب ؛ قرأت التعاسة في وجهه، فأخذ بـيدي وجـنح بي جانبا وقال : لا أريد أن أكلمك، ولكن من فضلك وإحسانك، تقرأ هذه الرسالة.. قال : ففـتحت الرسـالة، ثـم قرأتها، رسالة تبكي لـها بدماء القلب قبل دموع العين فإذا فيها... من الزوجة فلانة إلى زوجها فلان :

لم أتمتع معك في حياتنا الزوجية إلا أياما قلائل ! حتى غيبوك في غياهب السجون، كم سنة غبت عني ؟!

لا أدري ماذا فعل الله بك، ولا أدري عنك، أحيٌّ فترجى أم ميت فتنعى ؟! =

= ليتك ترى حالي وحال أولادك !!
ليتك ترى حال صغارك !!
لست أدري هل أخون أمانة الله وأمانتك ؟! وأطلب الرزق لـهؤلاء بطرق محرمة، وأنا في ذمتك وعهدك !!
أم أطلب الطلاق ويضيع أولادك !!
أم أصبر وأحتسب وأجري على الله عز وجل !!
وكلام كثير يطول، يبكي لـه المسلم !
قـال : فمـا كان مني إلا أن أخرجته بيدي وعلمت أنه قد بقي سنتين، لأنه تحمل غرامة ودية، ولا أحد جاء يسأل عنه.
قال : فلما تحققنا عن حاله وجدنا حاله كما ذكر في الرسالة، فسددنا عنه وفرجت مصيبته، والحمد لله.
وحـين أذكـر مـثل هـذه القـصص، فإني لا أبريء الغارمين والمدينين في شيء من المماطلة والتساهل، وربما اعتمد سبيل المماطلة والالتواء، ولم يسدد ما عليه، إلا أنه على كل الفروض وعلى كل الأحوال فكن سابقا بالفـضل، ولا تقابـل الظلـم بظلـم مـثله، إن كـان حـصل لـك فعلا ظلم من مدين، فلا بأس أن تعامله بما يستحق.
أما أن تطالب بسجنه وأنت تشاهد وتعلم من حاله، ولو طلب من بعض المدينين القسم لأقسموا أن هؤلاء المديـنين لا يملكـون شـيئا يـسددون، ومـع ذلـك يـسعون بكـل وسيلة إلى سجنهم،تضييع أهليهم وتشتيت أسرهم، فهذا الظلم بعينه والعياذ بالله.

- وإذا كان هؤلاء الناس يسلكون هذا النمط من المعاملة الظالمة، فأي معاملة يجب أن يعامل به الدائن غريمه؟ ولا سيما إذا كان مفلسا، وإذا كان عاجزا عن السداد.

لقـد بـين الله عـز وجـل ذلـك في كتابه أن هذا العاجز الذي قد بلغت به الحالة إلى حد العسرة، ولم يستطع الميسرة، فمعاملته ينبغي أن تكون من طريقين لا ثالث لـهما :
أما الطريق الأول :
فهو طريق واجب لا يجزيء عنه شيء، وهو أضعف الإيمان وأقل الواجب، وذلك هو إنظاره إلى الميسرة.
أي الـصبر علـيه حتى يفتح الله عليه باب رزق، وحتى يبدل الله عز وجل عسره يسرا، وأنت بذلك مأجور إن شـاء الله، ومشكور عند الله عز وجل وعند خلقه، وحري أن يدعو لك هذا المسكين ما عسىأن يرفعك الله به درجـات، وأن يـبوؤك أعلـى المـنازل في الجـنان، ولا يحل لك أن تطالب بسجنه ؛ بل يجب أن تصبر عليه حتى يـبدل الله حالـه إلى ميسرة يقول الله عز وجل : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) [سورة البقرة : ٢٨٠].
فنظرة إلى ميسرة أي : الواجب أن تنظره حتى ييسر الله عليه.
وأما الطريق الثاني :
وهـي أعلـى مـن المرتبة الأولى ولا يستطيعها إلا من وفقه الله للخير، فهي مرتبة فاضلة، وحكمها مندوب، وليـست بـواجة، ألا وهو حط الدين عنه، ومسامحته عن الدين كله، أو بعضه، لا جرم أن هذا من أفضل =

١٢- كفالة الأيتام والأسر الفقيرة وذلك عن طريق جمعيات البر

= الصدقة، ومن أحب الأعمال إلى عز وجل قال الله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) [سورة البقرة : ٢٨٠ - ٢٨١].

أخي المسلم ! أخي الدائن !

إن إعفاءك لغريمك، ومسامحتك له، من أفضل الصدقات عند الله عز وجل.

- إنها من تفريج كربات المسلمين.
- إنها من التيسير على المعسرين.
- إنها من ستر عورات المسلمين.
- إنها والله من أفضل الأعمال عند أرحم الراحمين.

قال رسول الله ﷺ فيما رواه عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الله عنه وأرضاه : " من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم في الدنيا، ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على مسلم يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، فيسروا ولا تعسروا ".

واعلموا أن مسامحتكم لهؤلاء المساكين من أفضل الإحسان، ومن أفضل المعروف، ومن أعظم الخير، والله عز وجل يقول : (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) [سورة الحج : ٧٧]. ويقول : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). [سورة البقرة : ١٩٥]. وألفت أنظار الغارمين والمدينين :

لأن ذلك من باب العدل والإنصاف فأقول لهم :

اتقوا الله عز وجل وسارعوا بسداد ما عليكم، فإن هذا الذي تكرم بقرضك وإعطائك، إنه قد أحسن إليك، فلا تقابل إحسانه بالإساءة ؛ بل قابل إحسانه بالشكر، كافئه بالمعروف، وبجزيل الخير.

إذا يسر الله عليك فعجل ببراءة ذمتك، ذلك خير لك عند الله، وعجل بسداد ما عليك، ذلك من مكافأة المعروف، وإياك أن تماطل، إياك أن تسلك السبل الملتوية، فإن ذلك ظلم مبين، يقول الرسول ﷺ : " مطل الغني ظلم " أخرجه الخاري ومسلم. وفي رواية : " ليَ الواجد ظلم يبيح عرضه وعقوبته " أخرجه البخاري معلقا، وأبو داود بسند حسن.

فبادر بالإحسان إلى من أحسن إليك، وإلى سداد ما تحمّلت به ذمتك، فذلك إبراء للذمة، وأقسط عند الله سبحانه وتعالى، واعلم أن الرسول ﷺ يقول : " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ومن أخذ أموالهم يريد إتلافها أتلفه الله في الدنيا والآخرة ". أخرجه البخاري.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكشف عن كل مكروب كربته، وعن كل متضرر ضره.

(من رسالة : نداء إلى الدائنين والمدينين، بتصرف).

والمؤسسات والهيئات الخيرية.

١٣- التكفل بدفع (إيجار فواتير الكهرباء) لبيوت الأيتام والأرامل.

١٤- رعاية ودعم ومساندة مواقع الإنترنت الدعوية الإسلامية الموثوقة.

١٥- التكفل بسقيا الماء وخاصة لبيوت الأرامل والأيتام.

١٦- التكفل بتعبئة مياه الشرب ومياه الوضوء في المساجد.

١٧- وقف كتب السلف ككتب: (التفسير والعقائد والحديث) في الجوامع والمساجد.

١٨- شراء برادات الماء وتوزيعها في المساجد والمدارس.

١٩- كتابة العبارات التذكيرية[كالاستغفار والتسبيح والتهليل...]، على لوح معدنية ونصبها في الأماكن العامة وعلى طرق السفر.

٢٠- دعم ومساعدة جمعيات أصدقاء المرضى فهناك من المرضى من هو فقير وبحاجة ماسة وملحة لبعض الأجهزة الطبية مثل: من أصيب بالشلل الرباعي فهو بحاجة إلى كرسي آلي متحرك وهذا الكرسي قيمته بآلاف!!

٢١- دعم الدورات العلمية الشرعية التي تقام في المواسم وفي الإجازات الصيفية والتي وغالبا ما تكون في المساجد والجوامع وهي بحاجة للدعم.

٢٢- طباعة وترجمة الكتب والرسائل الدعوية بمختلف اللغات وذلك بالتعاون مع مكاتب توعية الجاليات.

٢٣- التكفل برواتب الأخوة المتطوعين في المؤسسات والهيئات الخيرية خاصة أن أغلب هذه المؤسسات قائمة على هؤلاء الأخوة

والأخوات وغالبا ما يكون الراتب رمزيا.

٢٤- دعم وتزويد المؤسسات والهيئات الخيرية بسيارات النقل والشحن، وأجهزة الحاسب...الخ.

٢٥- بناء المستودعات الخيرية ووقفها على الجمعيات والمؤسسات الدعوية والخيرية.

٢٦- التكفل بطباعة الإعلانات والبوسترات الدعوية والخيرية للجمعيات والمؤسسات الخيرية ومراكز الدعوة.

٢٧- التكفل باستضافة المشائخ والدعاة (كدفع قيمة تذاكر السفر والإقامة والضيافة) وذلك بالتنسيق مع إدارة الأوقاف ومراكز الدعوة.

٢٨- دعم برنامج الدعوة عن طريق المراسلة وذلك بالتنسيق مع مكاتب الدعوة.

دعم القوافل الدعوية التي تسيَر للقرى والهجر وذلك بالتنسيق أيضا مع مراكز الدعوة والإرشاد والجاليات.

مسك الختام

وفي الختام يحسن بي أن أختم هذه الرسالة بتلك الكلمات الجامعة للعلامة السعدي رحمه الله فقد قال:

الناس إذا مات لهم حبيب أو أصابتهم مصيبة متفاوتون، فأعلاهم منزلة من يقول: إن لله علي حقا في هذه المصيبة ولحبيبي علي حق ؛ فأشتغل بتحقيق أداء الحقين عن الاشتغال بفوات حظي من حبيبي ؛ فلله علي حق الصبر الذي لا بد منه، ولا يتم الإيمان إلا به، فإن أمكن مع ذلك الارتقاء إلى مقام الرضى والشكر اللذين هما أعلى المقامات ؛ كان هو المغنم الأعلى والحظ العظيم، فيشتغل بهذا الحق، ويعلم أنه إذا قام به أثابه الله من الخير العاجل والآجل أعظم مما فاته بأضعاف مضاعفة.

وأما حق حبيبي علي من والد وقريب وصديق ونحوه ؛ فالاشتغال به أن أعمل ما أقدر عليه من الأسباب التي يغتبط بها بعد موته من الاستغفار له والدعاء والصدقة وتنفيذ وصيته وقضاء دينه ونشر ما تسبب في حياته من مشروع ديني وغيره، فمن كان كذلك ؛ فهو الرجل الحازم، وهو الرجل الذي وفق للقيام بالحقوق وبالوفاء بحق الحبيب، وأما من كان إذا أصيب بمثل هذه المصيبة لَحَظَ فوات حظه فقط، فإنه تحضره الهموم والغموم والسخط وفوات الثواب وحصول العقاب.

فسبحان من فاوت بين العباد هذا التفاوت الذي لا ينضبط طرفاه! والله أعلم.[1]

---

(١) (مجموع الفوائد واقتناص الأوابد) للعلامة السعدي رحمه الله. ص٤٧.
انظر: «الكتاب المرفق».

وفي الختام أرجو من الله أن أكون قد قدمت بهذا العمل ما ينفعني في حياتي وبعد مماتي وأن أكون بعملي هذا تسببت بتسلية و تخفيف لوعة مصاب غالبة وأوقفت دمعة مفجوع ساكبة ضاقت به الدنيا.

وأسأله عز وجل أيضا أن أكون برسالتي هذه قد تسببت بنفع ميت قد انقطع عمله وأمله فتداركه أهله بعد قراءة هذه الرسالة باستغفار أو صدقة تعود عليه بالحسنات والثواب في وقت هو فيه بأمس الحاجة للحسنة الواحدة!

وأخيرا أسأله سبحانه وتعالى أن ينفعني بهذا العمل في الدنيا والآخرة وأن لا أعدم دعوة في ظهر الغيب من إخواني لي ولوالدي وأن لا يحرمني من موعود نبيه ﷺ: "ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة ؛ إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة".

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

وكتب

أبو محمد عبدالله بن رشيد الحبلاني

٢٦/ جمادي الآخرة ١٤٢٦هـ
المملكة العربية السعودية
محافظة حفر الباطن
جوال: ٠٥٠٧٢٤٣٢٤٣
E-mail: mobadded@gawab.com

---

(١) شاء الله عز وجل أن انتهى من مراجعة هذا الكتاب ودفعه إلى المطابع في اليوم الذي فجع فيه المسلمون بوفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله سائلاً الله عز وجل أن يجبر مصيبتنا وأن يحسن عزاءنا فيه وأن يلهم أهله وشعبه الصبر والسلوان وأن يجعل مآله جنات النعيم.

كلمة أخيرة

أخيرا لا أدعي الكمال في هذا العمل وأقول كما قال الثعالبي رحمه الله:

لا يكتب أحد كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنين معدودة؟

وكما قال أيضا العماد الأصبهاني رحمه الله: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر....

أبو محمد

الفهارس الموضوعية

مطابع الحميضي هاتف: ٤٥٨١٠٠٠ فاكس: ٤٥٦٢٢١٧